حديث في المكن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حديث في الممكن

رواية

ذياب فهد الطائي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تقديم

جاسم المطير

هذه الرواية تتقدم ببناء كبير القيمة في تناول واقع عراقي ، ليس عن طريق استخدام الاسطورة في عصر يبدو اسطورياً ، بل زامن مؤلفها ظروف التداعي الاسطوري في زمن من ازمنة اوضاع اسطورية مرت اخيرا على النظام الاجتماعي – الاخلاقي – السياسي ببلاد الرافدين حين ساد الاغتراب فيها بعد تغيير عام ٢٠٠٣ وحين سقطت سلطة أركان الدولة المستبدة فجاءت اوضاع جديدة مخلوقة باكتئاب العنف وبعوارض الغضب الذي ساد في علاقات يومية بين قوى متناقضة ومتنافسة بين مجموعات افلتوا وجودهم الذاتي المسلح وبين وبين اناس يشعرون بالعجز الاقصى لتغيير الحياة او خلق التطابق بين رمز الرواية وواقعها في عالم فارغ من ارادة صنع الحياة الجديدة الخالية بخلوها من الاستبداد والقهر لكنها اوجدت بانفرادها صورا بشعة صارت فيها الحياة الواقعية غير اجتماعية وغير انسانية . كل شيء متقلقل وغير مستقر في حياة الناس العراقيين وفي شوارع بغداد وفي حي المنصور ايضا.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لم يكف الروائي العراقي ذياب الطائي في متابعة دقيقة مكثفة عن طبيعة الاحداث ومداخلة وجودها بين الناس وتواصله بأفق غير مألوف في التجربة الروائية العراقية حين يكون ابطال روايته مغمورين بمدن وشوارع رمادية وفي انفاق لا ضوء داخلها او في نهاياتها ، مما جعله متمكنا من تأصيل الفن الروائي العراقي في مرحلة ضبابية لا افق لها . لم يكن قصد الروائي هي هذه الرواية ان يضع امام عيون قرائه صورا من الواقع في تتابع احداث روايته ، بل اراد ان يعيش قراء هذه الرواية قسوة هذه الاحداث لأن في هذا الشكل من المعايشة الروائية يتجلى فن من فنون الرواية الانسانية.

من خلال عدم الاستقرار والتقلقل يخترع الراوي في هذه الرواية احاديث وحوار ووقائع تؤكد غياب القوة الضرورية القادرة على التعامل مع الاحداث بمعطى طبيعي او بديهي فالرواية تتوسع في كل صفحة وتزيد التزامات القارئ في المتابعة وتتخطى بنوع من اسلوب الحداثة كل اساليب السكون الروائي داخل سلسلة من التحولات العميقة في عملية تصنيع الرواية.

المؤلف هنا في هذه الرواية يلبي الشروط الفكرية والفنية لقيم الاحداث الجارية في بغداد كأنها جارية خارج الزمن لكنها فعالية مؤكدة في داخله . بهذا تمكن الروائي ذياب الطائي من جعل القارئ مدركا ان الحقيقة اضعف بكثير من ارادة العارفين بها.. انها ظاهرة سيكولوجية اتقن المؤلف لعبتها باستبصار روائي بالغ الدقة.

العنف في الشارع والقتل الغادر الذي يخترعون اساليبه الجديدة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بمنتهى الوحشية اصبح فعالية حقيقية داخل المجتمع العراقي وقد عنت الرواية بفكرة اختراع كلمة السر في هذه الفعالية للدخول الى معسكره وكشف بناه التحتية من خلال الاستعانة ليس فقط بالمشاهد الواقعية للعنف والقتل الجاري في العراق في اعوام ٢٠٠٦ – ٢٠٠٧ بل الاستعانة بالأدلة العقلية التي يتطابق معها عنف الشارع العراقي وارهابه في صفحات الفن الروائي.

الروائي الصديق ذياب الطائي استطاع بهذه الرواية ان يحيل وقائعها الى حقائق سياسية وان يحيل احداثها الى عمليات عنف تتطابق مع نمط من انماط التفكير السياسي المغلف بنوع من النمط الفكري الديني والمذهبي المتحكم بالبيئة العراقية الحالية مؤكدا ان حامل السلاح هو بطل الساحة العراقية الحالية وهو مخترع مستقبله المجهول. حامل السلاح هو القادر الوحيد على الصولة والجوال في مدينة بغداد وفي الخريطة الجغرافية كلها .المؤلف هنا أوجد نوعاً من الكتابة الروائية المتقنة بنمط من التفكير الحدسي وبأسلوب فني يتدرج فيه بين النبوءات والتوقعات لصالح التجديد في معنى ومغزى الفن الروائي العراقي وبما يفضي الى التحذير من وقوع المجتمع المدني العراقي فريسة الوحشية البيولوجية لجاميع ارهابية ذات نزعات اجرامية فلقد استطاعت الرواية من تحليل هذه النزعات وحدودها المفتوحة على كل الاحتمالات في المستقبل.

حصل في الرواية كشف في بعض اشكال علاقات الناس ببعضهم داخل مجتمع يقوم على شيوع حرية (العنف) و(القتل)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في شوارعه حين اصبحت الدماء والجثث على الارصفة هي المادة الخام اليومية في عيون الناس واحاديثهم. محاولات مجدية وغير مجدية بين المعارف والجار ازاء الجار لتحسين مردود العلاقات الانسانية الطبيعية ، لكن لا جدوى طالما العنف اصبح لدى بعض القوى والشراذم من المقدسات. غدا العنف في هذه الرواية نوعا من الاحساس الشديد لدى بعض الناس الذين يحملون السلاح ، بغياب شبه تام لدور الدولة ، ليس للدفاع عن النفس بل للهجوم على البشر لكي تتعمق عزلتهم ويتوسع حرمانهم من ڤيع متطلبات الحياة.

الرواية هذه محمولة بكل قوتها لتكون عملا جديدا من الاعمال الروائية قادت مؤلفها الى رؤى جديدة والى حيوية جديدة ليكون الفن والثقافة رحما جديدا من ارحام ولادة لحظة تنويرية معترف بها روائيا بقصد انجاح مساعي ابطالها لخلق فن فيه الكثير من القيم الروائية الجديدة القادرة على زرع بذور جديدة في التربة الروائية العراقية التي تواجه فيضانا كبيرا من الاحداث الكبرى ومن تدمير البيئة وخراب العقول اذ لا يتمتع فيها غير الروائي الذي يعزز تقنياته كما هو حال الروائي العراقي ذياب الطائي الذي تمتع بدرجة كبيرة من الحضور في هذه المرحلة من غياب الوعي ليس عن الحكام حسب ، بل عن المحكومين ايضا ..

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصل ألأول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الطيور...؟!

تنقلت عيناي بكل الزوايا ، شعرت بفزع ، الغرفة وكأنها بقبضة من نار يملؤها شعاع ساطع من تجليات شهر حزيران ، الشمس تجتاح الكون وكأن حالة من الجنون المدمر تتلبسها ، هل يكون الحريق هو المطهر؟ ولكن أين الطيرين؟

كان اناء الماء فارغا ، ولم يكن في (الكاسة) الصغيرة اي طعام! شعرت بالجوع.. جوع قاس يمسك بامعائي ، كنت حين اعلن لوالدتي عند عودتي من المدرسة اني جائع تردّ بعصبية وهي على التنور (جوع الربوع يكسر الضلوع) وحتى اليوم فأنا لا اعرف ماشكل جوع الربوع.

الطيران الصديقان ، كانا كل صلتي بالعالم ، ربما هربا من انفلونزا الطيور! لا أدري.... ولكنهما كانا رقيقين وهما يدوران في الغرفة بمحاورة تشدني اليهما بحيث بدأت عينا (ايمي) تبتعدان وصوتها الموحي يغيب في ظلال الكلمات المختبئة تحت وسادتها التي ظلت مكانها منذ الشتاء الذي غادرت فيه العراق.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شعر بأن العرق الذي ينضح منه يغرق عينيه ، تناول الشرشف ليمسحه واحكم اغلاق الستاره ليحمي الغرفة من شراسة الشمس وليتحول الشعاع المتدفق بعنفوان الصيف الى لون ناصل يكشف ألأثاث وكأنها قطعا اثرية ، رفع اناء ماء الطيرين وجمع بعض فتات الخبز المتحجر ، تذكر انه لم يضع لهما الماء منذ ثلاثة ايام ، في البيت انقطع الماء تماما ، هو ايضا لم يتناول الطعام منذ ألأمس.

أين ذهبا؟

زجاج نافذة المطبخ مكسور ، والزجاج المتشظي على ألموزائيك الرصاصي المعرق بألأسود كان كما حلم به أمس أو قبله!!! ينتشر ببريق كاب... لقد هربا!

كانا إلفين يدوران حول بعضهما طوال النهار وفي المساء يقفان عنده وفي عيونهما حب أعمق من ليل بغداد الخالي من الكهرباء ومصابيح النفط والقمر ، دخلا علية في صباح ربيعي ، لازال يتذكر ذلك بوضوح لأن الربيع لن يعود ثانية وقد شرب كل الندى وهو ينحسر الى الصحراء ، ولهذا احترقت الشوارع الأسفلتية قبل ان يتقدم حزيران على سطوح المدينة.

كانا بين الهدهد وحمام البساتين النوّاح حتى في ليل مقمر طري ، تماما كأهل العراق الذين يطربهم الغناء الحزين في حفلة ليلة العرس!

تتمازج الوانهما كقوس قزح مكتمل ولهما ذيلان طويلان يمسان الأرض برقة ، منقاريهما كلون الياقوت الأحمر وعلى الصدر طرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بيضاء وسط هالة من الزرقة الصافية ، يصدران صوتا ساحرا هادئ الجرس ومن الغريب ان لصوتهما وهما يتحاوران او يتغازلان صدى ، رنينه يبقـــــى عالقا فوق الجدران بتموجات تعطي السكون المخيم عمقا يترشح في نفسه.

النوافذ مغلقة ، والباب الذي تناهى الى سمعه طرقات لجوجة على خشبه السميك ، لم يفتح والطيران ينصتان بهدوء مترقب ، سرعان مايعاودان مناجاتهما وهو ينشغل بتتبع تموجـــات اللحن بصوتيهما ، ويحلم وهو يسافر الى عوالم غريبة لم يكن يعرفها من قبل ولم يقرأ عنها ، القراءة نساها وهو يتطلع الى رفوف الكتب مندهشا ،عربية ، انكليزية وبعض المجلات الفرنسية ، كانت (ايمي) تغني بصوت رخيم وعميق عددا من مقطوعات أديث بياف ولكن الطيرين ، في صوتيهما حلاوة وفي عينيهما سيل من الأشتباه الملتبس بغموض ساحر يدفعني الى ان اعشق الصمت واركن الكلمات في كهف الظلمة ،التي كسوت غرفتي بها ، كيف سأعيش من دونهما؟!

ثانية شعرت بالجوع يعصر امعائي ، علي ان اخرج ، لم يدع لي الحر الذي تتوهج به الجدران وتتنفس به الشراشف المتسخة الملقاة على السرير ، اية رغبة في ارتداء حتى القطع الصغيرة.

كنت انام... لم يكن النوم حاجة ،بل كان رغبة في ان أغرق باحلام وكوابيس كنت اراها ، حياتي التي تاهت في دهاليز وانفاق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بغداد ، التي أحكمت اغلاقها فوهات البنادق وسيارات الهمر وسكاكين الملثمين ، كانوا بلا هوية وكأنهم قادمون من عمق جحيم ابوابه من الصفيح الملتهب ومديهم لاتجيد القراءة والكتابة

كنت اتذكر ، اعاود استخدام العقل ولو على نحو محدود جدا

كان ذلك بعد ان غادرت (ايمي) ، شعر بأنه يفقد العالم ، ملأ خزانات المطبخ بالطعام المحفوظ ، واشترى بضع زجاجات من الماء والمشروبات الغازية وقرر ان يعتزل الناس والحياة.

اليوم هو الثالث من حزيران ٢٠٠٦ وقد مضى على ترك ايمي للبيت ستة اشهر.

لم اتذكر هذا التاريخ ، وهو لايعني لي أمرا محددا على وجه الخصوص ، واني اذ اذكره الان لأنه امامي على التقويم المعلق فوق طاولة المطبخ حيث نتناول طعام الأفطار يوميا ، وهي عادة ملزمة فرضتها زوجتي منذ اليوم الأول لزواجنا ، وتبرر ذلك بان الذين يتناولون الأفطار هم الأقل عرضة للكآبة اثناء النهار ، و على الرغم من عدم قناعتي بهذه المقولة فقد رضخت ، لها فمع النساء يجب ان لا تخضع المسلمات الجاهزة من وجهة نظرهن ، الى التدقيق او البحث المنطقي للتداعي النظري ، لأني ولمدة سبع وعشرين سنة ، لاأتذكر اني تناولت افطاري قبل منتصف النهار ، ولكني لم اتعرض للكآبة ، بل كنت على طول تلك السنين أخطط لحياتي بدقة متناهية وأضع اهدافا مرحلية اعمل جاهدا على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تحقيقها ، وبالطبع فقد كان هذا النظام يشغلني على نحو مطلق أعني النظام المرحلي بأهدافه المحددة بدقة ، رغم اني لاأنكر ان ما فرضته زوجتي ، قد جاء بفائدة ، لم يكن الأفطار باعتباره تناولا للطعام من مفرداتها ، انه هذا التقويم الذي يطالعني باصرار لأقرأ كل لحظة ، تاريخ اليوم وبعض التفاصيل المتعلقة بالمواعيد والألتزامات لزوجتي ولطفلنا ولي ، بيت أم حمزة سيزورونا الساعة السادسة ، شراء مستلزمات الزيارة ، موعد الطبيب لتطعيم حكمت ، ألاتصال بأمي في الساعة الثامنة مساء (بالطبع المعني امها لأنها في ويلز أما امي فقد توفيت قبل عودتنا) ، هذا الأيقاع المنتظم لم يعد مجديا وشكل اضطرابه الصاخب نوعا من ألانكسار الحاد لدى زوجتي ، ولهذا فأنها قررت على نحو حازم وغير قابل للمناقشة ان تترك بغداد ، وتعود الى عملها في (دبي) ، قالت: لن اترك ابني لعلاقة ملتبسة بين الوطن وما يجري في الواقع ، لأنه قد يجد نفسه في تورا بورا وليس لي القدرة على البحث عنه في تلك الكهوف.

اعرف زوجتي ، عندما تسد كل الأبواب ويصبح الحديث معها من جانب واحد ، عادة اشيح بنظري عنها صامتا ، لأن وجهها الجميل يتحول الى كتلة من اللحم الأنساني المجمد بدرجة عالية.

ليس من السهل ان ابدأ بهذه الطريقة ،وافترض انكم تتابعوني ، أعرف ان هذا يتضمن صعوبة بما يثيره من اسئلة قد يكون بعضها يمتلك مشروعية!

حسنا ، تزوجت (أميتي) عام ٢٠٠٠ ، كنا في سفرة الى جزيرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كريت اعدتها الجمعية الطبية البريطانية الملكية للخريجين الجدد ، كانت هي طبيبة اطفال ، وكنت طبيبا متخصصا في البروتستات وأعدّ لبحث عن سرطان المثانة ، كانت ايمي كما كنت اسميها اختصارا ابنة عالم آثار يبحث في فن العمارة عند البابليين ،وقد خلص الى مقولة مثيرة للجدل بعد دراسات موسعة للجنائن المعلقة ، مفادها ان المعماري البابلي هو اول من توصل الى التوازن الدقيق بين الوظيفي والجمالي في فن العمارة القديمة ، ألوظيفي بالمعنى العملي هو ألاستخدام ، والجمالي بالمعنى الحسي هو ألأبهار.

قلت لها: هل تتزوجيني؟

قالت: نقطتان لابد من دراستهما ، الأولى ، اني قد انفصلت حديثا من أول زواج لي من البرفسور بركلمان ، كان استاذي يتمتع بروح مرحة ولكنه غريب الأطوار ، ففي الأشهر الخمسة والتي هي عمر زواجنا لم نلتقي الا ثلاث مرات ، كان بين السفر للمشاركة بالمؤتمرات العلمية أو في المختبر حيث يقضي ساعات طويلة في البحث ، وأخيرا قرر أن يستقر في (الكابون) لبحث ارتفاع نسبة الأصابة بألأيدز ، حينما عرضت عليه ان نفترق قال: اعتقد ان ذلك هو القرار الصائب!

وألأمر الثاني هو اننا ، أعني أنا وأنت من بلدين مختلفين ومن ديانتين متباينتين!

قلت: لم تقدمي حتى الان اعتراضا وجيها!

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كان الطقس في كريت صيفيا حارا ، مع رطوبة عالية ولهذا فان الشواطئ تزدحم بالمستحمين منذ الصباح الباكر ، كنت اقرأ في كتاب اعمدة الحكمة السبعة ، ممدا على الشاطئ بعيدا عن الزحام ،وعندما أتعب من القراءة اتطلع الى البحر الذي كان هادئا تتدافع امواجه برفق ، حين لمحت على خط الأفق يد تلوح على نحو بدا كاستغاثة ، لم اجد احدا بالقرب مني ولهذا اندفعت الى الماء سابحا باقصى ما استطيع ، كانت الدكتورة (أميتي) بحالة يرثى لها طلبت منها ان تتصرف بهدوء وان تسمح لي بسحبها الى الشاطئ ، لم نتكلم طوال اكثر من نصف ساعة ،عند الشاطئ تمددت على الرمال ، قالت انها كانت تستمتع بـــالأستحمام كما تفعل كل صباح في كريت ، وفجأة شعرت بأن تشنجا في فخذها الأيمن يشل حركتها وحين تطلعت الى الشاطئ أحست بالرعب لأنها اكتشفت انها قد ابتعدت كثيرا وان احدا لن يسمع استغاثتها ، جال بخاطرها انها قد تغرق ، انتابها شعور مرعب ، ستموت وحيدة!

اشكرك

خلال ألأيام الثلاثة اللاحقة كنّا متلازمين ، سواء أكان في الرحلات المنظمة لمعالم المدينة أم في السهرات التي يقيمها الفندق لنزلائه كل ليلة ، وجدت ان هناك الكثير من التوافقات بيننا ، وربما يكون اسمها العراقي اول هذه التوافقات الكامنه في اللاوعي لديها ، كنا على الشاطئ حين طلبت منها الزواج.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعد سنتين جاءنا حكمت ، وفي منتصف عام ٢٠٠٢ قال مدير المركز الطبي (دكتورة اميتي ، انت وزوجك مطلوبان للعمل في دولة الأمارات العربية واذا ما وافقتما من حيث المبدأ يمكنكما دراسة تفاصيل العرض)

رغم ان العمل في (دبي) ممتع ، بسبب الصلاحيات الممنوحة لنا وتوفر المختبرات العلمية وسهولة الحصول على الأجهزة اللازمة ، الا ان الحياة العامة امر آخر ، فأنت لاتستطيع التمتع بالشواطئ أو المتنزهات المعدة بعناية كبيرة ، وذلك بسبب ارتفاع درجات الحرارة والرطوبة العالية ، التي تجعل من عملية التنفس جهدا شاقا ومثيرا للأعصاب ، ولهذا كنا نقضي مايتوفر لنا من فراغ ، في المجمعات التسويقية الكبيرة المكيفة ، والتي تعج عادة بأناس تتباين ملابسهم وعاداتهم التسويقية فضلا عن اشكالهم.

بعد سقوط النظام في بغداد قلت لأيمي: سنذهب الى العراق ، في البداية نطلب اجازة لمدة سنة.

قالت: والان سأزور بابل وربما التقي هناك باحدى حفيدات أميتي الكبيرة! من يدري!

لن اثقل عليكم ، فخلال ستة اشهر ومع كل الشهادات العلمية ونسخ المجلات المتخصصة التي كنا ننشر عليها مقالاتنا ، وكتب الشكر من المؤسسات البريطانية ذات الصلة ، لم نستطع ان نجد مكانا ملائما لنؤدي فية خدماتنا للشعب الذي كنت احلم بالعودة الى صفوفه! كان موظف الأستعلامات يتفحص الملف بعدم اكتراث

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويتطلع نحوي مستفهما ما اذا كنت احتفظ باوراق اخرى! ولكنك ياسيدي لم تتعرف على المحتويات جيدا ، ربما لأنها باللغة ألأنكليزية ، يرد علي باقتضاب ونفاذ صبر ، لاتعلمني واجبي!

أخيرا قال جارنا ، يادكتور ان من المتطلبات ألأساسية كتاب تزكية من احد ألأحزاب المشاركة بالحكم ويفضل ان يكون الكتاب من حزب وزير الصحة مادامت طلباتك موجهة الى الدوائر الصحية!

في اعماقي ، بدأ يترشح احباط قاس وشعرت بالذنب تجاه ايمي ، كانت تتجاهل ما تحمله نظراتي من انكسار ،اعترف انها حاولت كثيرا ان تخفف عني.

حين قال لي المدير العام لمدينة الطب ، انه يمكننا ان نلتحق بالعمل شعرت بان موسم الأمطار قد بدأ ، وملأت الفرحة اسارير أيمي.

المستشفى تغرق في ظلام ، تنز في ثناياه روائح تبعث على الغثيان ، هي خليط من رائحة الدم المتجمد على الأرض وفوق الشراشف ، والبراز حيث تظل قطع منه لصيقة الفراش ، والأدوية الفاسدة التي كثيرا ما تنساب من افواه المرضى ، لأن المرضين لا يساعدوهم على تناولها ، كانت ايمي مصدومة وهي تسمع بكاء النسوة من ألم الولادة ولاتجد اية وسيلة للتخفيف عنهن ، وكان ألأكثر ايلاما ، هو لامبالاة الأطباء وكأنهم ادمنوا الحالة ، يمكن تصوير ألأمر ، على أنه اشبه بتمرين الزامي على فصل لمسرحية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من الكوميديا السوداء.

حين علمت باختطاف الدكتورة سهام كان الوقت متأخرا ، وكانت ايمي قد عادت الى البيت بسيارتها اليابانية القديمة ، والتي قمت باحداث بعض ألأضرار الجانبية بها لأبعاد مختطفي السيارات عنها ، ولاأكتم اني استفدت من حكاية (الخضر) ، وهو يثقب السفينة التي تبرع صاحبها بنقله ، الدكتورة سهام تحمل الشهادة العليا من انكلترة ، ولكني لم التق بها هناك وانما تعرفت انا وايمي عليها في المستشفى ببغداد ، دعتنا الى بيتها ، كانت شاعرة ، قالت: الشعر لا الطب هو الذي يجعلني قادرة على تحمل كل هذا ألألم ، قالت ايمي: انا انتظر ، متى سيحين دورنا ، لقد جئت الى العراق لأني كنت اعشقه ومن ثم عشقتك ، العراق الآن يخذلني فلا تفعلها انت لأني لا اعيش بدون عشق ، قلت سيبقى لك حكمت ، قالت هناك فرق ، مع حكمت انا عالم من الحنان ، ولكن معك انا انثى تشتاق الحنان! نامت ايمي حزينة ، ومن يومها بدأت اشعر بألأسف ، فالأمل الذي غرد كعصفور في قلبي وانا احزم الحقائب للذهاب الى الميناء ،حيث الباخرة التي ستغادر نحو البصرة ،كان يغادرني ، الآن واستطيع ان اجزم أني أرى ذيله الطويل ، كان غرابا أكل الصمت صوته ، وحتى حفيف الجناحين كان مأزوما كرعشة الخطيئة تتدارى بالليل وبتعويذة الشيطان.

كانت رسالة بخط رديء ، قالت المرأة التي تعتني بالبيت وبحكمت انها استلمتها صباحا بعد خروجنا.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هل تعرفين الذي جاء بها؟.

لا ، كان صبيا في العاشرة!

وألان ألأطفال تتعرف على الجحيم ، تدخل في بدايات اسرارها ، انهم حاسرو الرؤوس ألآن ولكنهم سيتلثمون بعد ان يجتازوا البوابات الثلاث

((الدكتور المرتد.. وزوجته الكافرة ، عليكما مغادرة البيت خلال ثمان واربعين ساعة والا واجهتما الموت))

لم يكن هناك من توقيع ، انهم مازالوا يكتبون الكلمات العربية ، كم هي كبيرة هذه العربية لتضم الى مملكتها كل ألأفعال المجزومة والمبنيّة حكما والأعراب على منهج اهل البصرة أو بدو الكوفة ، وحتى الحروف التي لامحل لها من الأعراب والتي تطفو فوق طوفان الحديث لاتغرق ، ورایاتها تظل شاخصة لا تتبلل من رذاذ الماء وكأنها اعلام الزنج وهم يجتاحون أزقة البصرة الطينية ، هل ستنتهي الدكتورة ايمي العالمة والباحثة والتي تعشق العراق بسكين ربما التقطها مجهول من مخلفات كربلاء وهو يبحث في الطين عند الفرات عن دودة لصنارته ، باعها في سوق الجمعة فاشتراها صبي ليذبح بها الدجاجة الوحيدة التي تملكها امه ، وحين تلثّم بدأ يذبح بها من يسقط في شبكة اوهامه ، كيف جاء الى حينا ومن دفع له ولماذا؟؟!

قالت ايمي وقد غابت فيوس في عينيها واختفى القمر الربيعي الذي كان يعرش فوق خديها وهي تتحدث الي.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والان ، ما العمل؟

ما العمل؟

رددت ذلك ورائها

لا أعتقد ان في الأمر مزاح ، انهم يقتلون بروح همجية عمياء ، وهم اذ يقتلون اعدائهم فقد يكون ذلك مفهوما! أنا لااعرف احدا منهم ، ولااتذكر اني التقيت احدهم حتى في زحام المرور في شوارع المنصور وانا ايضا لا اجيد الحديث في السياسة ، ولست مع السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط او في أي بقعة من العالم.... فلماذا؟

لن تجدي كل التساؤلات وحتى لو اطلقت الرصاص على دورية امريكية فالدورية ستذهب وهم يحدوقون نحوك بضيق ، اية مجنونة هذه المرأة! اما الملثمون فان صوت الرصاص سيدلهم على مكانك وسيذبحونك ، انت المرأة البيضاء الكافرة! وحينها لن يكون للجرح ابتسامة ولا للموت حلما بالفرح.

في اليوم التالي وعند نقطة اتصال الزقاق بالشارع العريض اوقفنا ثلاثة ملثمين ، كان بيد احدهم رشاشا صغيرا وألاخران يحملان مسدسين كبيرين

تذكر دكتور ان مساء الغد هو آخر ايامكما هنا!.

كانت لهجته مؤدبة ولكنها جازمة ، وشعرت بأن خوفا مرعدا يتسلل الى قلبي وان كفي تتجمد من البرودة فيما راحت ركبتا ايمي تهتزان بارتجاف منتظم ، ابابيل لم تسقط بعد ، والموت لم يعد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كلمة تتنفس في قاموس النحو ، وانما كابوس يقف امامنا نذير شؤم ، والصوت كعويل ذئب يتربص للأنتقام

قالت ايمي: عد بنا للبيت ، علينا ان نغادر اليوم الى عمان ، لنترك كل شيء ثلاثتنا مهددون!

لم اجبها ولكني عدت للبيت ، بدأت ايمي تجمع بعض الحاجيات ، واخرجت النقود التي كنا نحتفظ بها في خزانة الملابس ، كنت مرميا على السرير اشعر باني لم اعد موجودا ، ذهني خال من اية افكار او مواضيع أو حتى ألأحساس بأني موجود ،

كنت ازرع الحلم في خيال ايمي ، ومن اعماق النسيان كنت اصوغ كل لحظة سنعيشها في الوطن ، استمد من رعشات الذكريات الحالمة صورا بهية عن الناس والحياة والمستقبل ، وكانت هي ترعى معي حدائق الوهم الجميل ، وألان كيف سأعود معها الى حياة ماقبل الوهم والحلم؟! عن ماذا سنتحدث؟ وهل بقي للحديث صلة؟

ألن تأتي؟

لا ، علي اولا أن أنظف الحدائق التي زرعناها ، وأن أدفن كل ألأحلام في رعشة هواجس الفجر الذي استعصى على الولادة بعد ان ماتت ألأم ولازالت مشيمتها مدماة لم تقطع بعد.

لست بحال افهم ماتقوله ،على أية حال ، اوصلني الى شركة نقليات في الرصافة ويمكنك ان تأتي بعد ان تستقر ، فقط ادفع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للمرأة عن شهر كامل.

ناولتني رزمة من الدنانير

لقـــد تركت لك بعض الدولارات التي قد تحتاج اليها.

عند شركة النقليات اخذت سيارة حديثة ، دفعت للسائق مبلغا اضافيا فوق الذي دفعته لمكتب الشركة كيما يعتني بها والطفل

ستعرف اين تجدنا فسأتصل بك في العمل أو في البيت ، فقط لا تنسى شحن الهاتف النقال كالعادة ، الى اللقاء

الغرفة تفور كتنور ، حين تركتها الى المطبخ ، لم اغسل وجهي وبدت لحيتي النامية لأول مرة في حياتي كثة شديدة السواد ،حاولت معها بالمقص الذي كانت تستخدمه ايمي في قص القماش ،ارتديت قميصا قطنيا بدا متسخا وبنطالا قصيرا وفتحت باب المطبخ ، كانت شمس حزيران قاسية تقف على نحو عمودي بتحد صلف ، خطوت الى الحديقة ،شجيرات الورد جفت والعشب الأخضر في ارضية الحديقة تناثر في الزوايا بعد ان قتله العطش واحرقته الشمس ، اشجار البرتقال الثلاث بدت بائسة كسيرة وهي تنحني نحو الأرض ، هل كانت حزينة على ايمي التي كانت تستيقظ مبكرا لرشها بالما ء الذي تجمعه طوال الليل في الحوض ألأسمنتي؟! النخلة هي الوحيدة التي كانت تطل بوقار فيما يتجمع رطب يوشوش بأغراء وتناور الوانه وهي تشرب اشعة الشمس التي كانت تتحين الفرصة لتغمره عندما تحرك ريح خفيفة السعف المتدلي ، كان الطيران عند الرطب تمنيت ان يرميا لي ببضع حبات ، تحركا فوق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(العـذوق) العقيقيـة ، تـساقط رطـب جـني ، طـارا وهمـا يودعـاني بصوت حنون وانغرسـت في ذاكرتي النظرة المتعاطفة التي رمقاني بها وهما يبتعدان.

السلام عليكم دكتور!

كان جاري يتطاول عند السياج الذي يفصل بيتينا ، على رأسه كوفية عراقية منقطة وتستدير نهاياتها حول وجهه الصغير المعروق بحيث بدت عيناه كثقبين في جمجمة نسج حولها عنكبوت افريقي اكثر من بيت ، ربما شباكا للصيد أو لأن لديه اكثر من زوجة!

وعليكم السلام

ايـن كنـت طـوال هـذه المـدة ، لقـد فكرنـا بانـك ربما عـدت الى انكلترة!

اعرف انه يقصد (بفكرنا) هو وزوجته ، كانا يجلسان في الحديقة الـصغيرة المرتبـة بعنايـة بحيـث كانـت ورود الجـوري ذات الرائحـة العطرة ، زاهية بالوانها المدهشة ، فيما تنشر شتلات الكاردينيا شذى خفيفا يعطي النسيم المسائي نكهة بغدادية ساحرة ، كانا يحرصان على شرب الشاي بأقداح صغيرة تحيط بها دوائر ذهبية ويتعمدان خلط السكر بملاعق صفراء يعطي اصطدامها بالزجاج رنينا هامسا متواطئا مع سكون المساء الذي يتمدد ببطئ فوق ألأسطح ويهبط وئيدا على اسيجة البيوت معطيا ظل الأشجار كثافة ساحرة ، و رغم ان هذا لم يدم طويلا بعد انقطاع الكهرباء وتوقف انسياب الماء وتوقف شجيرات الورد وشتلات الكاردينيا ، عن التعاطف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معهما ومن ثم القرار الجماعي والمفاجئ بألأنتحار فانهما بقيا يجلسان في الساحة ذاتها يلفهما صمت موحش ،كانا وحيدين دون ابناء.

ايمي هي التي سافرت!

ولكن الى اين انت ذاهب وبهذه الحالة؟

اية حالة؟

حاسر الرأس وبالبنطال القصير!

الى السوق القريب لشراء بعض الحاجيات

حسنا انت اذا لاتعرف ماذا حصل؟!

وماذا حصل!

لاينفع الحديث من وراء السياج ، اسمح لي بأن أحضر عندك ، سأجلب لك معي كوفية فائضة عن الحاجة.

انهيت أكل حبات الرطب بسرعة ولكني شعرت بالضيق بسبب ماعلق باسناني وبشفتي ، كانت انابيب الماء تشكو العطش وبدأت حلاوة الرطب تعصر قلبي وفي جوفي نار اخرى يساعد على انتشارها الجفاف فتمتد الى دماغي ، يا ربي ساعدني!

ارجو ان ندخل لنتحدث بهدوء

أي هدوء وانا اشعر اني سأنفجر!

عيناك حمراوان ، هل تعاني من الحمى؟

من كل شيء!!

بدأت جوقة من العصافير زقزقة مشتركة ، هل هناك حفلة زواج؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذا ما فكرت به وهذا ما وددت ان اسأل عنه.

احتاج قليلا من الماء ، ولو جرعة واحدة ، لقد نسيت تماما متى شربت آخر مرة.

لحظة

كان الرجل كشبح يخرج من اعماق الظلمة في نهار حزيران المفتوح كلية للشمس وللرياح ، ينضح من نظراته خوف معد ، تطلعت الى البيوت التي أراها لأول مرة ، الشبابيك مغلقة والستائر الثقيلة مسدلة بالكامل وعلى نحو يمنع تسرب اية خيوط منفلتة من اشعة الشمس التي بدأت تتسلق الأسطح قوية واثقة وكأنها تعلن عن تحد للصمت الذي يخيم بظلال ثقيلة على الكون الذي حولي.

تفضل.

كان في يده كوبا بلاستيكيا ، الماء حار والعطش يحش في احشائي بقسوة عابثة ،والرجل يقف لايظهر منه غير عينين فيهما حديث متوسل ، كنت حينما اعود من المستشفى بعد السادسة مساء اسمع موسيقى باليه بنات الحور تتعالى من حديقته ، موسيقى متهادية اللحن ، بطابعها المفعم بالحزن والأ سى ، وفالس مرح خفيف تخيم عليه اشارات الفرح والغبطة ثم لحن بطيء ينضح بتوسلات عميقة وصادقة وكأنه ابتهال صوفي ، لماذا نعشق الحزن؟ ولماذا يظل التوسل هو وسيلتنا حتى الى الجنة؟

ارتديت بنطالا طويلا ووضعت الكوفية على رأسي فيما قمت بلف طرفيها حول وجهي ، شعرت اني اختنق ، كدت ان اصرخ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولكني صممت على الذهاب مع اللعبة حتى آخر الشوط ، كيف يتعارف الناس في الشارع والعيون كلها متشابهة؟ قال جاري: بالرائحة! هذا ما افتى به الشيخ مساء امس في صلاة المغرب!.

يبدو ان علي ان ازودك ببعض المعلومات!... حسنا قبل اسبوع سقطت الحكومة ، آسف أعني الدولة بكاملها.

الرئاسة واعضاء الحكومة واعضاء البرلمان في سجن الكرخ المركزي وهم معروضون للمشاهدة بمبلغ الف دينار للفرد الزائر ، أما باقي اعضاء الحكومة كالمدراء العامين ووكلاء الوزارات وضباط الجيش والشرطة ففي سجن الرصافة ، والمشاهدة بمبلغ خمس مائة دينار للزائر

مرت سيارة مسرعة في الزقاق ، كانت جوارحه كلها تتمعن في الصوت.

قال: لابأس سيارة اللجان الخاصة!

صمت برهة ثم عاود الحديث

أما أعضاء الأحزاب والمليشيات ورجال قبائل الأنبار فقد تقرر حجزهم في البيوت على ان يفصلوا عن نسائهم لمدة ثلاث سنوات وان يؤدوا الصلاة كل خمس واربعين دقيقة تكفيرا عن ذنوبهم ، فضلا عن الفرائض!

صمت متطلعا نحوي ، عيناي كانتا من زجاج مطلي تعكس انطباعا اخر ، ربما كانتا ايضا تضخّمان الصورة ، اندفع جاري يتحدث بعجالة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منعت النساء من مراجعة المستشفيات ، والمريضة عليها ان تراجع الشيخ ليكتب لها تعويذة تساعد في طرد الشياطين المسؤولة عن مرض النسوة ، أما الحالات الخطرة كحالات الكسور أو الولادة المستعصية فتنقل الى المستشفى ، حيث هناك قسم خاص بالنساء ، وبالمناسبة فقد منعت الفتيات من الأستمرار بالدراسة ، وقد ساعد هذا على حل مشكلة اكتضاض المدارس بالتلاميذ والتي كانت مزمنة في العهود السابقة ، كما الغيت الدراسة الأبتدائية وعلى الطلاب ان يؤدوا امتحان السنة السادسة من منازلهم ومن ينجح يستمر بالدراسة ويلتحق بالمدرسة المتوسطة النظامية وهي مجانية... امور كثيرة عليك ان تتعرف عليها بقليل من الصبر واذا احتجت الى اية معلومات فأنا حاضر.

الشارع خال تماما وعلى امتداده بدا الأسفلت لامعا وكأنه مغسول للتو ، مرت ثلاث سيارات باص بطابقين ، المحال التجارية سحبت بضائعها التي كانت تحتل الأرصفة ، ضوء الشمس العارية في منتصف الطريق الى قبة السماء يغمر كل شيء ، ليس غير الشمس والصمت والشارع المغسول!

مرحبا

قلت لرجل كان قد خرج لتوه من الزقاق ، نظر نحوي بضيق ولم يجب ، فكرت انه لم يسمعني لأن أذنية محكمتا التغطية.

كررت بصوت خافت: مرحبا

ألا تخجل يادكتور؟! لقد صمتّ في المرة ألأولى لأدع لك فرصة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ألتصحيح ، ولكن من الواضح انك لم تتعود بعد ، حسنا ، اليس لدينا تحية أدبنا بها ألأسلام ، لماذا لاتقول السلام عليكم؟

ارجو ان تتقبل اعتذاري فالحر والعطش اتعباني ولكن قل لي كيف عرفت اني دكتور؟

بالشم ، وبالنسبة لي فأنا استطيع ان اشم رائحة الطبيب على بعد مئة متر ، ستقول وكيف ذلك؟ أنا أجيبك ، لقد ذبحت ثلاثة أطباء من المرتدين واحدهما كان دكتورا من لندن!

سمع ابي حديثي الى رفيقي في العمل ونحن نتحدث في بيتنا فقال ، كيف يمكن ان يقتل انسان بهذه الطريقة!!

قلت: الرياح المسمومة يجب عزلها ، اقامة جدران عالية امامها وهل افضل من الموت جدارا للقضاء على ألأفكار المعادية ، انها حرب وجود فلا مجال للتردد!

شعرت بخوف يتسلل بقوة الى قلبي وحرقة العطش عادت تحش في احشائي ، وددت لو اصرخ ولكني لا املك القدرة على ذلك و الصراخ ايضا ارادة حرة أو فضاءات الم دون اسرار ، يضربك احدهم على رأسك فتصرخ ، ولكن مع الخوف تحت ضوء الشمس المبهر وتوقع ما هو اسوء يتحول الصراخ الى لهات مكتوم يدفع الى اعماقك بسكين عصية على ألأستمرار

الحمد لله ، ولكن كيف استطيع الوصول الى المستشفى؟

يمكنك ان تأخذ الباص رقم ١٤٠

اليست هناك فرصة للحصول على تاكسي؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لا.

هل بسبب البانزين؟!

لا ، اذ لم يعد هذا يشكل مشكلة

الحمد لله! اذا فان واحدة من المسائل المستعصية قد تم حلها ، ولكن لماذا اذا لايتوفر تاكسي؟

لقد حرّمت سيارات الأجرة الصغيرة ، لأن كثيرا من المفاسد ترتكب بها وثانيا لأن الشيخ يرى ان تشغيل خطوط النقل العام سيقضي على ازمات المرور وسيجعل الجميع سواسية كأسنان المشط.

وسواق ألأجرة؟

تم تعيينهم في الباصات بعضهم سواقا أو مساعدين وبعضهم رجال حماية والآخرين مفتشي خطوط ، النقل العام مجاني فالدولة في خدمة المجتمع

صمت فيما رانت على نظراته رؤى تولّه صوفي وقال كمن يخاطب شخصا آخر

لله الأمر من قبل ومن بعد

كانت ساعة طويلة ليصل الباص رقم ١٤٠ ، الحرارة ترتفع كل دقيقة والظل تأكله قبضة النار التي تتصاعد باصرار وأنا اشعر كأني في حالة انعدام وزن ربما اقرب الى الجنون والكوفية تخنقني ، صعدت الى الباص. جلس بضعة ركاب من الرجال الملثمين يرين عليهم صمت قلق ممض وعيونهم تائهة في فراغ صاخب تشغله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شياطين تتقافز بعصبية.

في المقعد الخلفي كتلة سوداء متكومة على نحو مريب ، كانت تصدر صوتا متقطعا يكشف عن محاولة مستميتة لخنقه.

قال السائق دون أن يلتفت: اسكتوا هذه (الحرمة)!

لم يتحرك احد ، تحرك الباص ، كان نظيفا ، كراسي الجلد تفوح منها رائحة غريبة ، كانت مقبولة ولكني لم اتعرف على مثيلتها من قبل.

مسح رجل يده بالمسند الجلدي ورفعها الى انفه ليشمها وهو مغمض العينين ، فكرت ان افعل مثله ، من يعرف ، قد يكون هذا ايضا من قواعد السلوك الجديدة ، لم يتبادل اي من الركاب الحديث مع بعضهم البعض.

قال السائق وهو يوقف الباص: دكتور ، تفضل بالنزول... منطقة المستشفى!!

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصل الثاني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لابد من الاعتراف اني بدأت أتخفف من الشعور المختلط ، الذي كان يستولي على مشاعري وأحاول ان ادقق اكثر فيما حولي وانا اشاهد بوابة المستشفى المزينة بسعف النخيل وفوقها قطعة مستطيلة خضراء اللون عليها كتابة محاكة بخيوط غليظة ، لم استطع تبينها فقد كانت القطعة ملتفة على بعضها ، عند البوابة اربعة اشخاص ملثّمين ومسلحين ببنادق لم يسبق لي رؤيتها من قبل ، فهي قصيرة ومن معدن أسود كاب ، يوحي شكلها القاسي بهواجس تبعث القشعريرة.

المقهى الصغير ، أمام البوابة ، والذي كان يستقبل المراجعين الذين يتوجب عليهم ألانتظار ، هو ألاخر بدا لـي بحلة جديدة فقد استبدلت الكراسي الخشبية الهزيلة والدكات الطينية الطويلة بكراس من البلاستك نظيفة وأمامها طاولات مكسوة بشراشف بنية ، وعلى واجهة المقهى لوح زجاجي بإطار اسود ورائه طاولة عليها اقداح وملاعق لإمعة ، و بالرغم من ان المقهى لايتواجد فيه اي زبون الآ ان (أبو عكلة) ، وهو صاحب المقهى ، كان في عينيه الدامعتين نظرة رضى عميقة وكأنها استسلام كامل أو عدم مبالاة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لأمر أجهله!

عند المدخل كان هناك لوحين من الخشب على يمين وعلى شمال البوابة الخارجية خطّ على الأول تعليمات تخص ألأطباء والممرضين وبقية العاملين في المستشفى

على الأطباء والممرضين نزع اللثام في الصالة الداخلية وارتداء الزي الرسمي أما بقية العاملين فعليهم ارتداء الزي الرسمي والأحتفاظ باللثام

أما اللوح الثاني فقد كتب عليه تعليمات للمراجعين

لم يوقفني المسلحون فيما رمقني أبو عكلة بنظرة طويلة ثم عاود لامبالاته.

وراء طاولة الأستعلامات

قال الرجل ألملثم: السلام عليكم دكتور

داخلني شيء من الشك ، هاجس مقلق بدأ يتحرك في داخلي ، في الممر الى غرفة الأطباء قابلني رئيس قسم الجراحة

دكتور لدينا حالات مستعجلة أرجو أن تسرع قليلا!

لآ.... الأمر أكثر من مستغرب فهل كنت في حلم ، لماذا يتاجهلون اني قد غبت عنهم أكثر من ستة اشهر ، وهل حقا اني قد غبت هذه المدة كلها ، واذا كان ألأمر على هذا النحو فهل سأجد ايمي تنتظرني.... دخلت غرفتي التي يشاركني فيها الدكتور فتحي وهو شاب كان استاذا في جامعة الموصل ونقل خدماته الى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المستشفى في بغداد منذ سنتين ، كما اخبرني.

قال الممرض الذي يعمل ايضا كسكرتير

دكتور لديك اليوم عمليتين احداهما لمريض يعاني من سرطان في المثانة والثانية لرجل لديه تضخم في البروستات فمتى ترغب ان نبدأ.

رغبت ان اسأله ولكني خشيت ذلك ، كنت مترددا ، المعرفة عين تتحداك بخبث ، أنا في شك ، ولاأعتقد ان احدا يستطيع ان يقدم لي الدليل الذي يقطع اني كنت احلم أم انه حقيقة بسيطة تتعلق بالوهم الذي يسيطر على تفكيري ، انا طبيب وجراح ، هذا لايحتاج الى برهان فالجميع يؤكدون ذلك وانا كنت في انكلترا واني متزوج من اميتي ملكة بابل ولدي منها ولد ، ولكن كيف لي التأكد من هذا ، كل شيء مشوش ومربك الى الحد الذي يصعب معه تتبع الحقيقة.

على المنضدة كان دفتر ملاحظاتي وفوقه السماعة الطبية وبجانبه القلم الذهبي الذي اهداني اياه أحد شيوخ العشائر الذي اجريت لأبنه عملية جراحية ، كل شيء امامي يمثل بديهية اهضمها ولكن الوضع بمجملة صورة سريالية معقدة ، هل هي حالة جنون موقت ما أمر به؟

قال الممرض: دكتور لديك الليلة ايضا تواجد في العيادة الخارجية ، والغرفة معدة لحضرتك.

لم اعلق على ماقاله فانا لاأحبذ ان اعود الى البيت.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في الساعة العاشرة قال الممرض: الغرفة جاهزة وطبيب التخدير ينتظر توجيهاتك.

قلت: حسنا لنبدأ.

شعرت بدفئ في اعماقي وشعور عميق بالراحة اشبه بنشوة خفيفة تتمدد في جسدي.

قال الطبيب المساعد ونحن ننزع ألأقنعة: دكتور اني اتعلم منك في كل يوم ، انت دقيق الى ألأجزاء العشرية للمليمتر.

قلت له: هذه الدقة هي الفرق بين الحياة والموت ، ليس هناك من خيار آخر.

كانت غرفة العمليات مفعمة برائحة صندل خفيفة وكل مافيها يشع نظافة ، الشراشف وسرير العمليات ، في الغرفة نسيت اني لم احضر الى المستشفى منذ اكثر من ستة اشهر ، كنت اتصرف على نحو عادي جدا وكانت يدي تتحرك بالمشرط بسهولة وثقة ، حينما فتحت اسفل البطن شعرت ان العالم الذي اعرفه أمامي ينفتح بكل اسراره التي احتفظ بحلولها واعرف طرقاتها كله.

لم يكن في المستشفى اي تواجد للممرضات او الطبيبات.

قال الممرض: يعملن في قسم منفصل ، ألأختلاط ممنوع!.

مساء ، وفي حوالي العاشرة جاء الدكتور فتحي ، بدا انحف قليلا وفي عينيه نظرة عميقة ولكنها ثابتة ، وكأنه قد اتخذ قرارا بالغ الأهمية في حياته ، لحيته التي نمت مشذبة بعناية ومن ملابسه تفوح ذات الرائحة التي كنت اشمها في غرفة العمليات ، رائحة الصندل الخفيفة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سافرت زوجتي والأطفال الى كركوك ووجدت نفسي وحيدا.

هذا من سعد الحظ فأنا وحيد ، ولم تحضر حتى الآن اية حالة طارئة عدا شخص أصيب بطلق في فخذه ، تصور ان ذلك بسبب عدم تركه حديقة بيته (حيث كان يجلس مع بناته وزوجته) ليذهب الى صلاة المغرب!

تجاهل ملاحظتي ورمقني بنظرة طويلة.

اذا فكل شيء يجري كما خطط له.

في السابق ، كان معظم المراجعين مساء من المتمارضات من الأقسام الداخلية للبنات ، ومن بعض السكارى أو ممن يشعرون بالملل.

اليوم منعت ألإناث من المراجعة ، الغيت محال (المنكر) ، أما ذوي الهوس بمراجعة العيادة الخارجية أو الطوارئ ، فقد أمرو بأن يضعو ايديهم على الجزء الذي تألم من جسدهم ، وان يقولوا بخشوع (بسم الله ثلاث مرات ، وان يرددوا سبع مرات ، أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد واحاذر)

بدأ يتحدث بشيء من الهيجان ، وعدت انا الى حالة البلادة والتشوش ، صوته يأتيني رنينا اخرسا يصطدم في فراغ ويسقط في متاهات مظلمة ، ماذا يحدث هل عدت الى حالة فقدان الإحساس بالأشياء والصور ، والأصوات ثانية ،العطش يحش في احشائي وفي تلافيف فكري دخان لحرائق تمتد الى ما وراء حدود المعقول.

أخيرا نهض كأله مهزوم ، جسمه الطويل والنحيل غمامة مزقتها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رياح فجر رصاصي يحمل نذرا لا تبشر بخير.

قال: سأذهب لأنام ، تصبح على خير

لم ارد عليه كنت اتعرض لتشنجات صدمة مفاجئة ، نزعت ردائي الطبي الأبيض وقررت ان اخرج ، أن أرى شوارع بغداد في الليل ان ادلف في عمق ظلمة الساحات المشجّرة ،وأن أقف على دجلة ارقب سكون الماء وهو ينام بيـــن الضفتين

عند البوابة قال حارس صوته متعب ونبراته موحشة

الى اين دكتور؟!

أريد أن استنشق بعض الهواء

ولكن لاتتأخر!

لم أرد عليه ، صافح وجهي هواء منعش فأحكمت اللثام على وجهي ، الطريق الفرعي الى شاطئ دجلة يسكنه صمت عميق فيما كانت الأشجار ترسم ظلالا مريبة تعكسها اضاءة خافتة من اعمدة الكهرباء ، شعرت اني في زمن آخر كل مافيه مشوش ، عبر السماء المغبرة هلال غاضب اضفى على ما حولي شحوبا ضاعف من عمق الصمت الموشوش بوتيرة مثيرة وضخّم الظلال التي امتدت كشياطين تحفر في نفق يمتد نحو الشاطئ ، هل أخطأت المكان؟ لم يكن هناك نهر ولا اوشال ماء ، عند الشريعة التي كان ينزل اليها الصغار للسباحة فضاء من الموزائيك المعتم حتى الضفة الثانية ، وغير بعيد حيث ينتصب جسر الصرافية ألحديدي ، يتسلى بضعة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اشخاص بايقاد نار وهم صامتون ، نزلت الى الفضاء المرصوف فسمعت وقع خطاي على الأرضية الصلبة ، أين أنا؟ اي جنون مرضي أعيشه! تذكرت ايمتي التي كانت تخاف ان تجد ابننا في تورا بورا ، صوتها يأتيني من بعيد كصدى مكتوم

انتبه رجاء!

قالها صوت خائف ومتردد

كان أمامي متكوما على بعضه ، شخص ضئيل الحجم لم يكن يضع على وجهه اللثام ، بدا الوجه ممسوخا يعصره خوف مجهول

آسف لم أرك!

لابأس ولكن هل معك سيكارة؟

أنا لاادخن

عادة سيئة

التدخين؟!

لا عدم التدخين! ، ولكن لماذا انت هنا؟

ليس لهدف معين ، انا أعمل في المستشفى المجاور وقد شعرت بالملل وبالضيق ففكرت ان اخرج للتريض

لم يكن يصغي الى حديثي ، وبدا كأنه يتضاءل ، هل هو من كوكب آخر جاء يستطلع مايجري في بغداد؟

هل انت هنا منذ وقت طويل؟

لآ أدري ، ليس لدي مأوى ، أولادي الثلاثة قتلوا و امرأتي تركتني لتذهب الى اهلها في قرية لاتصلها الا مشيا على الأقدام ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قد يستغرق ذلك عدة ليال وأنا لا املك القدرة على ذلك ، أشعر أني قد انقطعت ، أنا ألآن بلا امتداد ، هل رأيت شجرة تستمر في الحياة دون اغصان وأوراق؟ لست(زكريا) وامرأتي اكثر من عاقر والله لن يستجيب لندائي وأنا لست قريبا منه!

لدي سؤال أرجو ألا تستغرب منه ، أين دجلة؟

رفع الرجل رأسه نحوي لأول مرة ، كان في نظرته شك مترقب وحذر

ولماذا تسأل عنه؟

لأني لا اراه!

كيف؟ انت في المستشفى وعلى بعد اقل من مئتي متر ولاتعرف اين دجلة؟

أنت على حق ، ولكن هذه هي الحقيقة

أنت تقف فوقه... قال أمير المؤمنين في اليوم الثاني لأستيلائهم على بغداد ان المرأة عورة ،ولهذا فأنه يجب ان تتستر أي ان تتحجب وصدر قانون بذلك ، ودجلة أنثى وقد قامت البلدية بتحجيبها ، كلهم يخرجون من بين فخذي امرأة ولكنهم ينسون ذلك ، والأختلاط ممنوع ولهذا فهم يفكرون بفصل دجلة عن الفرات عند القرنة وهناك قانون قيد ألاعداد بمنع خلط الطماطم بالخيار

هل تسمح لي بالسؤال عن عملك؟!

اسمح لك! انت مهذب الى الحد الذي استغرب بقاءك ، كنت صحفيا واحيانا اكتب الشعر ، قال امير المؤمنين في اليوم الثالث ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصحفيون متسولون ولايسمح في دار الخلافة الثانية بالتسول وهكذا أغلقت الصحف والمجلات كافة ، واقتصر ألأمر على صحيفة واحدة ومجلة واحدة ، وكلاهما يوزع مجانا ، أما الشعر فأنه من المحرمات نصا وعليه فهو ممنوع شرعا ، لقد قايضنا الحرية بالجهل والأمان! ألا تعتقد انها مقايضة ضيزى؟!

أنت الان بلا عمل وبلا عائلة!

نعم

أخرجت من محفظتي بضعة أوراق نقدية وناولتها له

وماذا افعل بالنقود؟! النقل مجانا وهناك مطعم في باب المعظم يقدم ثلاث وجبات دون مقابل ، فقط عليك ان تقرأ الدعاء المكتوب على الباب الخارجي ، اللهم احفظ دولة الخلافة وانصر أمير المؤمنين ، انت ترى انه سهل وقصير ، ولكن صدقني أنا احس الخبز كأنه قطع طينية سوداء لاتقبل ان تذوب في فمي ، وحركة العاملين في المطعم تشي بشماتة فيما تراقبك عيونهم بروح معادية.

بدأ فجر باهت الزرقة يغمر الكون فيما راحت عصافير ثرثارة تضج مزقزقة وهي تتواثب فوق شجرة السدر ألكبيرة ، لم يكن هناك من اثر للطيور البيضاء التي كانت تحوم فوق شواطئ دجلة

قال الرجل: يجب أن أذهب! احضر هنا ليلا فقط لأني استطيع ان ارحل مع خيـــالاتي واطياف دجلة ،أما في النهار فأن المنظر كله يشكل صدمة عميقة لي فليس للماء ظل ولاللموج صدى يستقر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في الذاكرة.

حين عدت للمستشفى قال رئيس ألأطباء: دكتور يمكنك ان تذهب فلديك اليوم وغدا تعويضية

قال الدكتور فتحي: بعد قليل سيلقي أمير المؤمنين كلمة هامة ، ستنقل الكلمة بالمذياع وبالتلفاز ، ألا ترغب بسماعها؟

ابتدأ الكلمة بتلاوة قصار السور ثم اشار الى عدد من الأحاديث النبوية وبعض أحاديث الصحابة ، كان الصوت عميقا وخمنت انه ليس بعراقي على الرغم من محاواته االمتعبة ليبدو كذلك ، فرنين الكلمات لا تغيره الصنعة

تحدث كثيرا عن الواجب والحق وعن تنظيم الدولة وأخيرا ختم حديثه بدعاء المتزوج وشراء الدابّة.

قلت للدكتور فتحي: لا شك انه متحدث بارع ، ولكن ماهو الرابط بين الزواج وشراء دابة؟! اني أتساءل فقط؟

العلاقة الجدلية بالحصول على جديد ، أن تتزوج أو أن تشتري خادما فأنت تحصل على جديد في حياتك ، لاحظ انه قال اذا اشتريت بعيرا فلتأخذ بذروة سنامه ولتقل:اللهم اني أسألك خيره وخير ما جبلته عليه وأعوذ بك من شره وشر ما جبلته عليه.

في الحقيقة عجزت عن الملاحظة أو عن ملاحقة النص للمعنى ، رأيت ان الكلمات لا تبني نصوصا تمنع الضوضاء أو تقف بوجه الماء المتسرب ليغرق كل شيء ، والقول باني فهمت الأمر هو مجرد افتراض زائد ، لاادري اين قرأت مرة (كلما ازداد الظلم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تداخلت الكلمات لتصبح نفق لايدخله الضوء)

أراك بعد غد

لم يجبني ، التواجد المسلح في كل زاوية ، كنت أراه وأنا ادخل شارع الرشيد من جزئه ألشمالي ، المقاهي مغلقة وفي الضوء المتسرب تلتمع الأجزاء الحديدية لبنادق مشرعة ، سوق الهرج على الجانب ألأيمن يلفه سكون مفتعل على الرغم من وجود العديد من الرواد ، كانت المساومات تجري بصوت هامس ، خوف عام يسيطر على الناس ، ماذا جرى ليكونوا غارقين في عمق السكون؟ العيون فقط هي التي تلتمع بمشاعر وأحاسيس متنوعة ولكنها تشترك في خوف يتناثر بين النظرات ، خوف يتخفى وراء الحذر الماكر الذي يتدارى خلفه الجميع ، الشارع ليس فيه غير المارة وفي بعض ألأحيان ، تمرق به سيارات النقل العام الحمراء والتي كانت كلها بطابقين ، شعرت بالحر يزحف على جسدي فتعرق مفاصلي كلها ، توقفت عند أحد ألأعمدة التي شيدها ألأتراك ، سمعت صوتا يقول تحرك دكتور ، الوقوف ممنوع ، الحركة واجب شرعي وهو فرض عين ، المجتمع المتوقف يأسن ويتفسخ ويموت ، أما نحن ففي حركة متجددة ، قلت اني انتظر الباص ، قال لقد مر من أمامك قبل لحظات ، قل كنت منشغلا بالتفكير ، تابع بلهجة تقريرية آمرة: لا تدع الشيطان يلهيك عن ذكر الله ،) ألا بذكر الله تطمئن القلوب).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صعدت للباص ١٤٠ ، كان بودي ان اقطع شارع الرشيد حتى الباب الشرقي مشيا على قدمي ولكن الخوف المجهول بدأ يتسلل الى قلبي ففي كل خطوة هناك من يراقبني ، عمليات الرصد تشمل المدينة كلها ، قال الرجل الذي جلست الى جانبه ، لقد عادت الكهرباء ، ليست بالقدرة الكافية ولكن على الأقل للمرواح والثلاجة ولسماع صوت أمير المؤمنين حين يوجه لنا حديثه اليومي ، كان الرجل محاصرا بالصمت وهو يبحث عن ثغرة في حصاره

ولكن متى عادت؟

امس مساء وقد اعلنوا عن ذلك بالمذياع ، قالوا بأن بغداد قد قسمت الى خمسين منطقة وانه جرى استيراد مولدات لكل قاطع بدلا من المحطات الكبيرة ، قالوا بأن شقيق أمير المؤمنين سافر الى ايطاليا لهذا الغرض وانه استطاع ان يشحن المولدات خلال ثلاثة ايام وعلى طائرات عملاقة.

كان يتحدث بعجلة وكأنه مكلف بواجب ثقيل يرغب ان ينتهي منه

تابع متسائلا: ولكن كيف حصل انك لاتعرف؟

كنت اقوم باجراء عملية في المستشفى

لو كان بامكاننا ان نجري عمليات لزرع الحب للدولة ولأمير المؤمنين لوفر ذلك علينا الكثير ، مارأيك؟

ربما!

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كيف ربما ، سيكون ذلك هو الحل ، لماذا لاتقترح على المستشفى القيام ببحوث موسعة عن هذه الفكرة؟

قلت: اعتقد ان تقديم الفكرة من خلال الشعب سيكون له تأثير حسن ، اتصل بالمستشفى أو قدمها مكتوبة الى الشيخ فمن يدري قد يرفعها لأمير المؤمنين!

لم يعلق وان بدأ شك يساوره بأني اسخر منه ، تشاغلت بالنظر الى المحال التجارية قبل ان نعبر الجسر فوق سطح الموزائيك الذي كان يلمع وهو يغرق باشعة الشمس الباهرة تخيم فوقه.

في المنطقة التالية نزل الرجل دون ان يلتفت نحوي

على ناصية الشارع حيث فتحة الزقاق الذي يقع في آخره بيتي دلفت الى مطعم للكباب ، كان الرجل الواقف عند (منقلة) الفحم يجفف عرقه ، يستدير ليفك لثامه ثم يعاود عمله في نظراته ضيق لم يستطع ان يخفيه وفي مدخل المطعم كان مسلحا يتفحص الداخلين وفي الزاوية القصوى مسلح يرقب الزبائن وكأنه يدقق في طريقة مضغهم للطعام

مع اللبن أم الببسي؟

لبن رجاء

بدأ المذياع يعيد كلمة أمير المؤمنين التي بثها صباحا ، قال رجل بصوت عال مخاطبا صاحب المطعم.

لماذا لاتضعون صورة أمير المؤمنين في مطعمكم؟

كان صاحب المطعم صاحيا للشرك المنصوب ، قال بهدوء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ننتظر الصورة الحديثة التي وعدنا بها الأخ المجاهد

أشار الى المسلح الجالس في الزاوية الذي توقف عن مراقبة الزبائن ليشير بهزة من رأسه الى تأكيد الأعلان بشيء من الزهو وهو يشاهد الزبائن يلتفتون نحوه.

كان الزقاق مفتوحا أمام الشمس ولم يكن لأشجار الزيتون والنخيل ظل فقد أختبئ في جوانب السيقان الملتصقة بالأرض وخلا من المارة ولكن المسلحين كانوا كالطفح الجلدي دائما في الواجهة المختبئة بأهمال ، حين فتحت الباب أطل جاري ليقول

اذا لقـــد عدت!

لم تكن بي رغبة في ألحديث كنت افكر بالحنة ، كيف ستسع كل هؤلاء وهل سيذهبون بأسلحتهم؟! وكم سيقربهم ذبح عشرة من الكفار ، وهنا لن يكون الفرق ذي بال ما اذا كانوا من الأطفال الذين لايعرفون الله جيدا أم من النسوة ، ذلك لأن ذبح كل عدو من الكفار ، (وهنا ايضا ليس مهما ان يكون يعرف انه عدو ام لا(سيقربهم خطوات من الله ، كان الرجل المقنع بالأسود هو الذي قال ذلك قبل ايام (ربما عدة أشهر فأنا لا اتذكر كل هذه التفاصيل الآن) أمام عدسات التلفاز وهو يهز رشاشا امريكيا متطورا.

كنت غارقا بالتفكير ولم أنتبه لجاري وهو يربت على كتفي.

لقد قلقت عليك؟

فوجئت بيده على كتفي ولكني لم أجفل فقد عودني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ألإحساس المستمر بالخوف أن أتظاهر بالشجاعة رغم ان ايمي كانت تقول انها قرأت في مذكرات شاب عراقي هرب من سجن الرضوانية (حينما يسكن الخوف في العيون فأن الوجوه تحمل انطباعا بالذل).

قال انه يأسف لإزعاجي

قلت: لاعليك

اتصلت بنا صباحا ايمي من دبي وهي تقول ان تعتني بنفسك فهي وحكمت بحاجة اليك وقد سألتني ان احثك على ان تشحن هاتفك النقال فأخبرتها ان الشبكة متوقفة واني سأدعوك لتتصل بها من بيتي ، سألتني ايضا كيف قضيت كل هذه المدة قلت لها انك لم تخرج الا من بضعة ايام وانك كنت بحالة حياد مع نفسك ومع العالم ، واني لمست كم كانت المرارة والكآبة تعصرانك بعنف قالت انها تتفهم ذلك ، هل تشرفنا لتتكلم معها؟

اسقط في يدي والرجل يحاصرني بذكاء وانا لا ارغب ان اكون اسير فضله

شكرا لكل شيء ولكني متعب وقد اتصل بها غدا من المستشفى

لا حاجة لذلك نحن اخوان والمكالمة مقدور عليها

كالعادة حينما يصر العراقي ان يقدم لك خدمة فانه لايترك لك الا ان تقبلها تماما كما هم في المقهى أو المطعم الكل يجد انه من المعيب ان يتأخر عن اظهار كرمه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كانت ايمي متعبة ، صوتها الرخيم يتكسر على نحو اشفقت عليها ، لأول مرة اسمعها تبكي ، قالت بانها لم تكن تدرك كم تحبني وكم أنا لازم لحياتها وكم هي الأيام باهتة بدوني ، كانت حياتي معك متوهجة ، كيف تقضي أيامك؟! قلت لها لاأدري ، قالت لقد بدأ حكمت بالذهاب الى الروضة وهو سعيد مع زملائه ، عملي بين المختبر وغرفة الولادة وطاولة الكتابة ، متى ستأتي ، قلت لاادري ايضا ، قالت انها تستوعب الأمر وانها بانتظاري.

في السياق الشخصي لا يعدو الأمر ان يكون حالة فراق مؤقت فرضته دواع عملية ولكن بالسياق العام للأحداث فأن الأمر ابعد كثيرا ،انه فراق قسري فرضته ظروف بالغة الضراوة ، ربما تكمن في ثنايا انهيار التاريخ أو اذا أخذنا بوجهة نظر أمير المؤمنين الحاكم بأمره ،فهي دواع لإعادة صياغة التأريخ وفق انماط كانت محفوظة منذ مئات السنين بانتظار الرجل المعجزة ليمنحها الحياة والصيرورة.

لم أسأل جاري كيف حصل كل شيء لأني اعتقد انه لن يجيبني وقد ادركت ذلك من زملائي في المستشفى ، الممرض هو الوحيد الذي كان راغبا ان يأخذني بعيدا ليقصّ علي الحكاية ، ولكني خشيت عيونهم ، كان المذياع الصغير الذي اشتريته من السوق الحرة في مطار دبي بدون بطاريات والمحولة لآ أدري أين اختفت ، خرجت ثانية الى السوق القريب ، بضعة افراد من الشرطة يقفون كاشباح مسلوبة الإرادة ، في حين يتحرك بثقة وبعزيمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عدد من الرجال الملثمين ، كانت مشادة صغيرة ، قال البائع وقد اتخذ اللازم بسرعة ، ولكن ماذا تعني بأتخذ اللا زم بسرعة؟ هل تمت المصالحة؟ كلا ، لقد عوقب المعتدي بعشر جلدات أمام الجميع! لاحاجة للمحاكم وهذا هو عين حقوق الأنسان ، لأنه في المرة القادمة سيفكر المعتدي الف مرة قبل ان يتصرف ،وبهذا تحفظ الحدود وتأمن الناس الشر ، حفظ الله أمير المؤمنين ودار الخلافة.

الليل يتداخل ببعضه ككرة عمياء تلف الكون ، مغافلة شمس كسول تنام في سرير يغرق في ايحاءات قمر مخاتل وضوء الكهرباء شاحب برومانسية لاتتناسب وهذا العطب الذي تتنفسه بغداد والذي ترشح منه رائحة غريبة ، كيف ستستمر هذه الغياهب التي تنسج تاريخ المدينة الحديث.

كنت اريد ان اسمع شيئا عما حصل ، قالت اذاعة البي بي سي انها ستقدم تحليلا عن الوضع في بغداد ، وانها ستستضيف الجنرال(أخترهوك) قائد القوات الأمريكية السابق في العراق ، كان الصوت صاف والحديث واضح ، اسدلت الستائر واغلقت الشبابيك ،فالأستماع الى اذاعات الكفر جريمة ، تحدث المذيع اولا بمقدمة نظرية طويلة عن الوضع في العراق وفي المنطقة ثم في العالم ، وتحدث الناطق باسم أمير المؤمين بهدوء اولا ثم تعالت نبرات صوته لتتحول الى خطاب اقرب الى الهيجان الفكري المضطرب منه الى الحديث الواضح وأخيرا سأل المذيع الجنرال أختر هوك.

سيدي الجنرال لماذ انسحبتم من العراق دون اعطاء الفرصة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لأصدقائكم

لتدبير أمورهم ، و هل جرى ذلك وفق حسابات دقيقة أم فرضته تطورات الأحداث على الأرض؟

قال الجنرال: لابد أولا من تحديد النقطة الأهم وهي لماذا دخلنا العراق ،

من المعروف ان سبب الحملة على العراق كانت لأحتلال منابع البترول في منطقة الخليج العربي بالكامل ولنشر قواتنا في المنطقة لعزل ايران والقوى الراديكالية وللتأكد من عدم حدوث اي خلل في ميزان القوى بين اسرائيل والعالم العربي ، لقد حدث كل ذلك بسرعة متناهية ، ولكن ماذا حصل بعد ذلك؟ تجمعت قوى الأرهاب لتلحق بنا خسائر كبيرة ولتخلق لنا وضعا صعبا في الداخل الأمريكي ، هنا كان لابد لنا من ايجاد البديل دون خسارة اي من مكتسباتنا ، انسحبنا مساء وعند الفجر احتلت قوات الخلافة بغداد ، وتجنبنا اعطاء اية خسائر مع المحافظة على جوهر الموضوع ، لدينا قوات ثابتة على ألأرض وفي مياه الخليج وكامل انتاج النفط في ايدينا ولن تستطيع قوات الخلافة الحصول على اكثر من البنادق والسكاكين وأقبية التعذيب ومقاصل الأعدام ، وبالتالي فهي غير قادرة على التوجه خارج العراق أما قواتنا فقد اصبحت بعيدا عن مرمى النيران.

قال المذيع: ولكن سيدي الجنرال أين الوازع الأخلاقي في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تصرفكم هذا؟!

قال الجنرال: وهل هناك من اخلاق في السياسة؟ وكيف تنسجم الأخلاق والمصالح؟

قال المذيع: اسمح لي سيدي الجنرال بسؤال أخير

قال الجنرال: تفضل

هل كان هناك من اتفاق مع انصار الخلافة قبل ألأنسحاب؟

ضمنا ، نعم!

صمت المذيع وبدأت موسيقى شجية تنساب في عمق الليل وتذوب في العيون الندية التي استكانت للظلام القادم من كهوف سحيقة ربما نسيها التاريخ ولكنها حققت التوازن المدهش للبيئة الحاضنة لديمومة الظلمة التي تنطلق اليوم لتغرق العراق.

لا أدري من قال ، لازم بيتك ففيه الحقيقة تعيش وستأتيك في أوقاتها الأشياء!

شعرت بأضطراب وبقشعريرة تهزني بعنف ، ارتميت على الفراش ، قالت ايمي مالعمل؟ يظل السؤال معلقا ، لماذا يظل الليل سترا للخطايا ، في رأسي تدق أجراس مضطربة بصوت يجتاح رأسي كله ويزلزل كياني وتضغط الجدران حتى كأني افقد القدرة على التنفس ، حدقت بالسقف ، لم يكن هناك ما أراه غير الظلام يتكاثف ويهبط على صدري ، نهضت ، صعدت الى سطح البيت ، السماء تطبق حافاتها بدائرة عملاقة على بغداد والنجوم مبعثرة ، لم تكن في نسق رسومها ، لم يكن هناك دبا ولا البنات النادبات ، درب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التبانه مزدحم بفوضى تنبئ ان امرا ما على وشك الوقوع ،والنجوم تتدافع بهيجان منفلت ، لم تكن تهرب بل كانت كل منها تسعى ان تحتل مكان ألأخرى ، قطعا هناك أمر تصر كل نجمة ان تكون دليله!

اشعلت الفانوس النفطي ، تناولت كتابا كان على الأرض وكان مظفر النواب يندب بحرقة:

يازهرة بيتي

ياوطني

أأظل على خرسي

تابوت قصاصات مجهد؟

لا أعرف حتى خشبي

رميت الكتاب وارتميت على سريري ، هل يمكن ان اعد النجوم من فتحة الشباك المطل على السماء؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصل الثالث

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكلمات عصية على الموت ، تقف عارية تحت المطر الصيفي وهي تستمتع بالمزنة العابرة ، يحاول ان يقتنصها حينما تغمض عينيها ، أن يأخذها على حين غرة بعد ان فشل مئات المرات وقد استنفد حيله لأغتيالها ، قد يصيبها المطر بالزكام فتتوارى لتسترجع عافيتها ولكنها تظهر فجأة امضى من سكين الموت وأقوى من جحافله الغازية بهمجية القوة وعنف الجهل... عبرت هذه الأفكار برأسي وانا أقرأ في ديوان للسياب.

من أي غاب جاء هذا الليل؟

من اي الكهوف!

من أي وجر للذئاب؟

كنت اغفو ممدا على السرير الذي غرقت شراشفه بالعرق ، فقد توقفت المروحة التي كانت تدفع بهواء حار حد ألأختناق ، ونام الليل بغياب الهلال وصحو السماء وراء غمامة من الغبار وانقطاع التيار الكهربائي ، فيما عبرت طبقات السكون المتكاثفة فوق بغداد اصوات اطلاق نار في مكان ما ، وعبر الشباك الموصد بأحكام ، في الشارع الذي يسكنه الفراغ من البشر ومن الحيوانات ايضا ، مرقت سيارات تطلق صفيرا متصلا يختلط باصوات فزعة تتعالى بزعيق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يحاول ان يغطي الخوف الكامن في ثنايا الحروف ، لم يدفعني الفضول الى التطلع عبر الشباك ولم ارفع الستائر أو افتحها ، رفعت فتيلة الفانوس النفطي الذي اتركه عادة على السلم يتراقص ضوؤه على الجدران ، أخذت كتابا يبحث في شاعرية السياب ، كان الحديث تأويلا نقديا مملا ولكن قصيدة المومس العمياء هي التي شدتني ، اهتزاز الضوء اتعب عيني ، صعدت الى سطح الدار ، كم هو منطقي ان اتعرى هنا افتح جسدي للهواء واتخفف من العرق الذي يهاجمني كعدو شرس ، ولكن على الرغم من ذلك بدت الفكرة بلهاء وغارقة في الغباء ، بضعة اعمدة كانت تبعث ضوء شاحبا يشكل هالة بدائرة ضيقة.

في الأيام الأولى بدت ايمي فرحة كطفل يكتشف لعبة طريفة ، حين نمنا تحت نجوم ذهبية كانت تومض بوقار وتحتشد في صفحة السماء وكأنها تتنعم بالأسترخاء فوق البساط ألأزرق ، فتحت عينيها بفرح وقالت: هل ترى ان هذه المتعة البسيطة مدهشة! كم انتم محظوظون لأن تغفوا وعيونكم ملأى بزخرف النجوم وان تصحوا تحت الظل فيما الشمس تجتاح الكون ، في الصباح الباكر أيقظتها ضجة العصافير ولجاجة الذباب ، قالت ، العدوانية بنت البيئة ، لا أستغرب هذا!

الليل يتفكك ببطئ فيما فجر ارجواني يتمدد من افق بعيد تدفعه شمس تريد ان تنهض ولكن اوشال النوم تثقلها فتتباطئ ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نهضت طاويا الشرشف والوسادة لأدخل ثانية ، كان جاري عند السياج

صباح الخير دكتور ، سنفطر اليوم سوية ، اعرف انك لا تدبر امور المطبخ ، انتظرني نصف ساعة فقط وسيكون عندك طبقا من الكاهي والقيمر والشاي أبو البطة! أعتقد انك لم تتناول هذا منذ مجيئك ، كما اعتقد ، انها فرصة لأن نتشارك بالزاد والملح.

لم يترك مجالا للأعتذار كما اني وجدت العرض مغريا فالمرة الوحيدة التي اشتريت فيها الكاهي والقيمر وكنت مسرورا لأني اقدم لأيمي وجبة افطار عراقية، تسببت في مشكلة صحية لأيمي التي لم تعتد معدتها على مثل هذا الطعام ، قالت

تمتدّ الأختلافات أفقيا وعموديا!.

أمنّت على كلامها وقلت نحن لانأكل السمك المشبع بالزيت والبطاطا!

قالت: لن تستطيع أن تغطي الحقائق كنت اكثر من اعرفهم اعجابا بهذا الطعام ألانكليزي!.

خمنت ان لدى جاري حديثا وان الرغبة تأكله ليحدثني بعد ان توقفت العلاقات الأجتماعية عند التحية العابرة في بغداد.

قال: ألم تسمع ألأخبار!.

قلت: لآ ، فأنا منشغل في المستشفى ٌ.

ربما ستعود المشاكل ثانية ، لقد داخلنا شعور بالأطمئنان بعد ان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

توقفت عمليات القتل العشوائي بواسطة السيارات المفخخة والأحزمة الناسفة وبدا ان ألأمور بدأ ت تميل الى الأنفراج فالبنزين متوفر والكهرباء جار حل معضلتها وهناك بوادر اعمار واسع ستؤدي الى توفير فرص عمل كافية للقضاء على البطالة.... يبدو ان كل هذه مجرد احلام!

كيف؟

لقد حدثت ليلا مواجهات مسلحة في بعض مناطق بغداد ، وفي الجنوب الأخبار غير مطمئنة ، لأنه تم رصد حركات مسلحة واسعة للعشائر ولقوى سياسية.

لم أرغب ان يستمر ، نقلت الحديث الى مساحة ربما نسيها.

لقد كنت اسمع في حديقتكم مساء مقاطع من(بنات الحور).

لحظت انه جفل فقد ارتد للوراء ثم اعتدل في جلسته في حين ظل كأس الشاي الصغير معلقا بيده

كان... قالها بأسف.

تابع: كان مساء في ليلة صيف ، مات شوبان يادكتور والحي ابقى من الميت!.

رمقني بنظرة معاتبة طويلة... بدا كمن يتحدث بمواجهة شخص ثالث.

قال: الوجود مقابل الموت! ، قطعا لن يكون الجميع شجعانا.

كنت أيضا أستمع الى شخص ثالث يتحدث بصوت خافت في قلب عاصفة ربما كانت قادمة من صحراء حفر الباطن اذ كانت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تحمل الرمل ورائحة عطنة من بئر مكشوف لم يقوموا بسحب النفط منه منذ العام الفائت ، تداخلت ألأحاديث وتحول لون وجه جاري ألأسمر الى قرمزي محتقن ثم بكى ، في تحول مباغت توقفت العاصفة وغاضت الرائحة العطنه واختفى الشخص الثالث واضعا وجهه بين يديه ، وساد هدوء لا يمكن الركون اليه لاسيما والشمس بدت غاضبة وهي تقتحم صالة البيت وتكشف عن كميات الغبار المتراكم فوق كل شيء.

قال: زوجتي مريضة وتلتزم الصمت وحينما تمر الساعات وأنا جالس على الأرض اتطلع اليها فأني اسمع الصمت يوشوش في اذني.....

انصت باهتمام فحديثه احيانا مشوق ولكني اغفو ، يسقط رأسي على كتفي ، وحينما افيق أراها تبكي ، عيناها دامعتان ، كانت اكثر حيوية من الربيع في بساتين بعقوبة ، هل تخلى الله عنا؟! احيانا اتساءل وأرجوه أن أموت بعد ان أقوم بدفنها لأنها ستظل بعدي ممددة على الفراش وقد تتفسخ! صدقني لم تعد الحياة مطلب مهم ، لقد عانينا كثيرا ، في ظل الحكم الأول كنا أشبه بشحاذين ، وفي ظل الحكم الثاني كنا مقاتلين مهزومين في غابة منقطعة ، الآن نحن مهرجون نؤدي دورا مع افاع سامة مقابل ان نبقى احياء ، مكشوفون للرياح القادمة من كل الأتجاهات ، الخوف ممزوج بالحقد ينام في ثنايا الوجوه التي تلهج بالتوسل الى الله!

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قلت له: لنترك كل شيء ولنقم الى بيتكم ، يجب ان افحص زوجتك لأقرر ماذا كنت استطيع شيئا بشأنها فهذه هي المرة ألأولى التي تحدثني عن مرضها ، ماكان عليك ان تسكت!

لقد مررت بها على كل الأطباء في بغداد ولكن لم يتوصل أحد على نحو قاطع الى تشخيص المرض ولديها الآن مجموعة متنوعة من الأدوية

حسنا ، هل تسمح لي بمعاينتها؟!

سيكون ذلك فضلا منك دكتور.

كانت الغرفة مسدلة الستائر وتتراجع خيوط الشمس العدائية عن الشباك المغلق ويشمل الغرفة ضوء شاحب يبعث على الكآبة فيما يغرق كل شيء بفيض من الصمت العميق ، كانت امرأة ترقد ممددة يبدو وجهها الممتقع وكانه لأنسان على وشك ان يغادر الحياة ، لم تعرنا اهتماما ونحن ندخل.

قلت لجاري: هل استطيع ان أطلع على التقارير الطبية وصور ألأشعة ان وجدت؟

نعم

سلمني ملفا... كانت تقارير متناقضة ، بعضها كتب بعجلة وبلغة غير مفهومة وأحد الأخصائيين قال انها لاتشكو من علة محددة وانه عليهم ان يعودوا الى البيت وينتظروا قضاء الله ، لم يكن هناك من اضاءة اضافية وحين طلبت ان يفتح الستارة حركت يدها بالرفض دون ان تتكلم.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اجريت لها فحصا شاملا ، لم تعترض ، كانت تستجيب لطلباتي بآلية ولم تحاول ان تنظر نحوي.

قلت: يمكنك ان تتأكد انها لاتعاني من مرض عضوي ، ماتعانيه شيئ مـا بمشـاعرها ، انها تمشي على حافة الموت فهي اذ ترفض الحياة لازالت لم تتخذ قرارا نهائيا بالموت ، وكأنها معلقة على هذه الحافة تبحث عن مخرج لهذه ألأشكالية ، لست اخصائيا في علم النفس ومن المؤلم ان هذا الأختصاص قد ألغي من المستشفى الذي اعمل به ، بقرار رسمي ولكني اعتقد أني أستطيع ان أقدم بعض المعاونه ،وهي كما أعتقد آخر الممكنات ، ولكني قبل أن ابدأ ارى ان ننقلها الى المستشفى لأجراء بعض الفحوصات ، سأتصل بقسم الطوارئ لطلب سيارة اسعاف.

كان الرجل على الهاتف يتكلم بنفاذ صبر.

قال: نعم دكتور ، انا اعرفك واقدر ان الحالة التي تتحدث عنها مستعجلة وضرورية ولكني آسف ، لااستطيع ان احرك اية سيارة اليكم لأن ألأوامر صريحة وقاطعة ، كلنا في انذار لمواجهة الطوارئ التي تفرضها حالة المواجهات المسلحة بين الخلافة واعدائها ،والحاجة الى ان نكون مستعدين لكل الطوارئ ، ثانية اكرر أسفي

لايمكن نقل المرأة بالباص ، ولاتتوفر سيارات اجرة ومن الصعب تكليف الجيران ممن يملكون سيارات خاصة بالمساعدة فالحكومة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجديدة خصصت كمية محددة بثلاثين لترا لكل سيارة شهريا وهناك نظام دقيق للمراقبة ، والمخالف يتعرض لعقوبات اقلها الجلد في محطة التعبئة وامام الجمهور على الردفين العاريين ألأمر الذي لم يترك اية رغبة لدى اصحاب السيارات بالتجاوز.

قلت لجاري: حسنا انا مضطر الآن للمغادرة الى المستشفى ولكن لاتقلق أعتقد اننا سنتوصل الى تشخيص الحالة ولكن... أرجو ان تتذكر أول مرة اشتكت منها أو بدا عليها المرض ، ان ذلك سيكون مفتاح التشخيص

القتال الذي بدأ بالأمس ليلا ، لم يتوقف وتسمع من انحاء متفرقة اصوات الرصاص المتبادل ، في الباص كان الجميع صامتين تبدو على وجوههم علامات الأضطراب والحيرة ، قال رجل كان قد أنزل اللثام الى ماتحت الفم وهو يتنفس بصعوبة ويستخدم بخاخا للربو ، العياذ بالله من شرور انفسنا!

قال السائق: اعتقدنا اننا سنستريح من القتال!

ساد الصمت المشحون بالقلق ثانية على الباص ، نزلت مجموعات وصعدت اخرى وسار كل شيء بميكانيكية وانتظام وكأنه واجب تم التدريب علية بدقة وحين وصلت الى منطقة المستشفى.

قال السائق: بالسلامة يادكتور

سلمك الله

لاتنساني دكتور فقد احضر الى المستشفى يوما ما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ان شاء الله لن تحتاج المراجعة وعلى أ ية حال أنا في الخدمة!

كان الوضع في المستشفى متوترا فالجميع بانتظار ما ستسفر عنه المعارك وهم يشاهدون لأول مرة قتالا في النهار ضد الخلافة وهذا يعني ان هناك جيوبا تتوسع بالرفض وبأستخدام السلاح

قال الممرض وهو يدخل الى غرفتي: السلام عليكم

صمت لحظة ثم تابع كمن يحدث نفسه: ماذا يتوقعون؟! صحيفة واحدة واذاعة تبث ثلاث ساعات في اليوم وجهاز تلفاز ارساله المستمر برامج مسجلة عن أمير المؤمنين ، لابد ان ان يكون الرفض مسلحا!

لم اعلق ، تجاهلت حديثه كلية وانشغلت بمراجعة بعض الملاحظات في دفتري ثم كتبت اسماء بعض المراجع وطلبت منه أن يأتيني بها من مكتبة المستشفى ، أو بألأحرى مما بقي من المكتبة ، اذ كانت قد شكلت لجنة لمراجعة الموجودات وبعد اسبوع من تفحص الكتب امرت بحرق كل الكتب الأدبية كما طلبت اتلاف كتب طبية لأن مؤلفيها يهود ، أو ممن تحوم حولهم شبهات بانهم لا يكنون ودا للمسلمين أو للأسلام

طوال النهار لم نجرى اية عملية للحالات ألأعتيادية للمرضى الذين هم على قائمة الأنتظار ، واقتصر عملنا على معالجة الجرحى أو على بعض العمليات البسيطة للمصابين من المجاهدين ولم اشاهد أيا من المصابين من الطرف ألآخر وحين سألت الدكتور فتحي رد بأقتضاب: مأواهم النار وبئس المصير ، اللهم اهزمهم وزلزلهم.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كان الرد رغم هذا الأختصار المكثف ، يكشف عن مديات واسعة للرؤية الجديدة مما جعلني اشعر في اعماقي بالخوف من المستقبل

حين عدت مساء ، كان معي بعض المراجع في الطب النفسي وكنت قد قررت ان استعيد بعض المعلومات العامة التي كنت قد درستها ، والآن لابد من ألأستفادة من الممكن ، وقد ترشحت لدي قناعة ان المرأة تمتلك حساسية عالية وانها قد تعرضت الى صدمة عنيفة جعلتها تكره الحياة ولكن لاتحب الموت وان هذ هو مكمن الخطورة اذا ما اهملت حالتها.

قال جاري: أنا اتذكر الآن كل شيء ، كانت في السوق مع جارتنا ،كان نهارا لطيفا فقد كانت الغيوم المتفرقة تمنع شمس مايس من ممارسة هوايتها بمضايقة الناس ، عادت تتكئ على جارتنا وهي منهكة وفي عينيها نظرة هلع قادم من صحارى مخيفة ، لم يكن في نظراتها ذلك الضوء المتدفق بهجة وعذوبة ، لاتستغرب دكتور فزوجتي تكتب قصصا رومانسية بعاطفة مفعمة بالصفاء و أحيانا كنت افكر انها قد وجدت في الزمن الخطأ ، لكمية النقاء والجمال في مشاعرها ، من يومها لم تتكلم ورقدت على هذا النحو الذي تراه ، لم افكر بسؤال الجارة عما حدث في السوق ، كنت منشغلا بها ولكن سؤالك اعاد لي صوابي ، لقد كلمت جارتنا وهي على استعداد لمقابلتك.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قالت الجارة: لاادري كيف أصف ماحدث كما اني لم اكن ادرك انها بهذه الحساسية والرقة ، كانت دائما حالمة ، على اية حال ، كنا عند بائع الخضروات وهو شاب ثرثار ربما يعود ذلك الى انه يتحدث طوال النهار مع النساء! ولكن يشهد الله..كان طيبا ، كان يروي حكايات مختلقة ولكنها مسلية وهو يستمر بالحديث حتى وان تغيرت الواقفات ودون ان يهتم ما اذا كانت الجدد يعرفن بدايات حديثه ام لا ، كنا نتفحص الخضروات لاختيار الطازج ، فأنت تعلم ان الباعة مهما كانوا طيبين فأن الغش في طبعهم! فجأة كف الشاب عن ثرثرته وكنت أول من لاحظ ذلك ، لقد رأيت في عينيه المفتوحتين على وسعهما خوفا يتقافز على خديه ويثقل على كفّية فيرتعشان ، كان هناك عشرة اشخاص ملثمين كالعادة ومسلحين وفي عيونهم غضب يحمل روح العقاب الصارم ، لم يتكلموا معه ، سحبوه خارج الكشك الصغير المصنوع من الصفيح ثم رفعوا لثامه وعروه حتى الوسط وأمروه ان يركع وأمام الجميع فصلوا رأسه بسيف قصير ، كان يلتمع وهو يستقبل اشعة الشمس المنفلتة من الغيوم البيضاء ، كان هذا أمر الله ، وكل شيء مكتوب على الجبين ، قال أحد الرجال ، لاتستغربوا نحن نؤمّن لكم السلام والأمان وهذ مصير من يعبث بأمن الخلافة ، كانت هي تمسك بيدي ، بدأت اشعر بقبضتها تزداد شدة في ضغطها ،وعندما التفت اليها عرضا ، فقد كنت مأخوذة بتتبع ما يحدث لأني ارى هذ المشهد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لأول مرة ، كانت عيناها تتفجران فزعا ، وحين انتهى كل شيء وترك الشاب على الأرض التفت اليها ، كانت ملابسها عند الأسفل مبللة وبدأت تتراخى قبضتها ثم انهارت تماما ، مما اضطرني الى ان اجلسها على الرصيف واجلب لها كوبا من الماء لأغسل وجهها الذي امتقع بصفرة بعثت الأرتجاف في أوصالي ، فقد فكرت انها مقبلة على الموت.

شربت المرأة ثلاثة كؤوس من الماء وهي تتكلم ،وقد شعرت انها قوية بما يكفي ليس فقط للحديث عن المشهد المرعب وانما لتمثيله لو طلب منها ذلك!

قلت لجاري: الصورة الآن واضحة على الرغم من ألأعتراف ثانية بمحدودية معلوماتي في علم النفس ، ان زوجتك تعاني من صدمة نفسية عنيفة جدا لم تستطع روحها الرقيقة والحساسة تحمّلها وبالنظر لعدم وجود اطباء نفسيين في بغداد فاني اقترح حلا قد يكون ذو مردود ايجابي ، ان تنتقل بها من بغداد ومن هذا البيت وهذه المنطقة واقترح ان يكون المكان عامرا بالأشجار وبالطيور وبالهدوء ايضا ، لا أعتقد بتوفر الأمكانية لنقلها الى كردستان العراق فالخطوط مقطوعة والسفر محفوف بالمخاطر لأنه يندرج تحت مفهوم الخيانة العظمى ولا الى خارج العراق ، اذا ، أمامك بعقوبة أو كربلاء لأن البصرة الآن من المناطق الساخنة من حيث الأمن ومن حيث الطقس! فكر جيدا واذا ما انتقلت عليك ان لاتشير الى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحادث وان لاتذكرها به بأية صورة كانت.

قال: ولكن هل يعقل ان تصل الى هذا الحد لأسباب غير عضوية!

قلت: نعم... المرض النفسي يتسبب في خلخلة الناقلات العصبية مثل السيروتونين في الدماغ ، وهذا التخلخل يؤدي إلى ظهور اعراض مثل الخمول وعدم الثقة بالنفس وهذه الأعراض هي اعراض مؤقتة لمرض معين له اسباب وعلاج وليست طباع متأصلة في شخصية الأنسان.

شعرت بالراحة وانا أعود الى بيتي ، كنت اسمع رنين الهاتف في بيت جاري واسمع ترحيبه الحاد ، أهلا مدام ، لقد كان هنا قبل لحظات ، لا أدري كيف اعبر عن شكري لمساعدته لنا أن زوجك رجل نبيل ياسيدتي وأدعو الله ان يجمعكم ثانية ، هل اناديه... لا..انه حتى لم يدخل البيت بعد وربما استطيع اللحاق به... لا سأناديه من جدار الحديقة.

كانت (ايمي) صوتها ينضح قلقا ، قالت ان الأخبار مشوشة وعاتبتني لأني لم اكلمها ، اعطتني حكمت ، كان يتكلم بلكنة انكليزية ولكن بلهجة عراقية واضحة ، قال متى تأتي... بابا انا احبك وماما... كلنا نريدك ، لدي اصدقاء في المدرسة وانا العب كراتيه ، قالت ايمي انها تفكر بالعودة الى انكلترا وما يمنعها انها مرتبطة ببحث ربما ينتهي بعد ستة اشهر وتفضل ان اكون معها لنعود سوية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كانت ليلة سيئة ، فقد هاجمتني كوابيس هي مزيج من الرعب والكراهية والسخرية المرّة ، وقبل ان ينتشر الفجر ، عاد اطلاق النار ثانية يمزق السكون ولكنه الآن الأعنف ويبدو انه الأوسع مدى ، حتى ان العصافير التي تستيقظ مبكرا لتبدأ العزف الجماعي لم تجرؤ على الزقزقة ولم تتقافز على الشجيرات والنخيل في البيوت واكتفت بصمت مترقب ، وهي تشاهد اسرابا من الغربان ذات اللونين تتجول فوق السطوح بحرية وتنقضّ احيانا على قطع الصابون المتروكة هاربة بها الى حيث لاادري اين ، كانت امي تقول ان هذا فأل سيء فالغربان عموما مضللة ولافرق أن تكون بلون واحد او بلونين ، ألم تكذب على نبي الله نوح؟!.

ديك واحد هو الذي بدأ صراخا متتاليا ، قال الدكتور فتحي ، ، حينما يصيح الديك فكن على ثقة انه رأى ملكا ، يمكنك ان تسأل الله ، حسنا يادكتور فتحي أني اسأل الله ان ينهي هذه الحالة ويجنبنا فصول المأساة القادمة.

صمت الديك ، وبدأت العصافير تتقافز ولكن دونما صوت ، كانت تختبر ماحولها ، تتلفت بسرعة بكل الأتجاهات مصغية بانتباه شديد وهي تبدي حذر من يتوقع الأسوء وهو بانتظاره ليحدد ردة الفعل المناسبة.

سمع دوي قذيفة تنفلق ولأني لا اعرف انواع القذائف فلن استطيع ان اتحدث عنها الا انها زرعت في قلبي خوفا وعادت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العصافير الى الصمت ولم تعد الغربان تظهر في صفحة السماء الأرجوانية.

بدأت شمس قوية تستعرض قدرتها على الأرتفاع السريع فوق المباني وتدفع باشعة كأنها مصابة بالدهشة عبر الشبابيك الى غرف النوم .وبدأت جولة من عنفوان الحياة ضاجة بالحيوية رغم خلفات قتال الليل من الدم والخراب والموت.

نزلت الى المطبخ لأعد الشاي وأتناول افطاري ، تذكرت ايمي وهي تعد لى شطائر الجبن وتحاول ان تخفف لون الشاي الداكن ، كان ابي يزعجه ان يكون الشاي بلون فاتح يذوب فيه الضوء ، كان يصر على ان يكون لون الشاي غامقا يحتبس فيه الضوء ويكف عن الوميض ، يقول ان ذلك ليس شايا انه بقايا مافي الصحون عند غسيلها ، تحذره امي قائلة ان الشاي والسكاير سيقضيان عليك ، يرد عليها وهل سأخلد الى ما لانهاية بدونهما ، تقول ألأعمار بيد الله ولكن دائما هناك الأسباب ، لم يكن لدي جبنا ، وضعت بيضتين في اناء ، لم يعد الغاز كافيا لغلي الماء! ، اكتفيت بالشاي وقطعة الخبز ، كانت الساعة السادسة حين سمعت طرقا على الباب ، فكرت بجاري ولكن الشخص على الباب لم اكن اعرفه قال بانه من المستشفى وانهم يطلبوني على عجل فقد كانت اعداد الجرحى كبيرة والمستشفى تحتاج الى جهد الأطباء كلهم.

كانت الممرات ممتلئة بالجرحى فيما كان الكادر الطبي يهرولون لا على التعيين وكأنهم فقدوا السيطرة على اعصابهم ، ارتديت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معطفي الطبي على عجل ، ومضيت الى غرفة العمليات ، كانت الغرفة قد أعدت لعمليات مشتركة فقد وضع فيها عدد من الأسرة ويقوم بضعة اطباء باجراء عمليات متنوعة في آن واحد ، ولم يكن التخصص هو الذي يحكم العمل ، عليك ان تجري اية عملية لازمة وكأنك في مسلخ بشري ، سيما وان طبيب التخدير لم يكن يستطيع ان يؤدي عمله حسبما تمليه الضوابط الطبية ولهذا استعان بعدد من الممرضين الذين يشتغلون معه في اعمال المساعدة والتنظيف ، قال انه لم ينم منذ أمس وانه بحاجة الى ان يدخن لأنه يشعر بصداع ، صرخ الدكتور فتحي ، طهور ان شاء الله ،

كان رئيسا لقسم الجراحة وهو شاب حديث التخرج ولم يحصل على الأختصاص كما اخبرني الممرض الذي يعمل معي ، كان كمن يمسك بالمشرط لأول مرة ، كفه ترتجف وعرق يرشح من وجهه ويداه ملطختان بالدم ، عند الباب عدد من المصابين يئنون بصوت مكتوم فيما ألأرضية غطتها بقع دماء لم تجف بعد ، أية احلام تموت وكوابيس تضغط برؤى سوداوية ، كانوا يحملون عزما يلوّن لهم ألأفق ويرسم أمامهم دنيا جديدة يصنعونها بأيديهم وفق خطوط سهلة وواضحة ، ولم يكن يدور بخلدهم ان هذه المعادلة المبسطة حد السذاجة لن تصمد طويلا امام واقع الحياة المتغير مهما كانت كمية الخوف والرعب ، التي ينشروها ولم يعرفوا ان التخويف المستمر يمكن ان ينقلب الى خوف يطالهم وانهم سيضطرون الى ان يبقوا ايديهم على الزناد وعيونهم مفتوحة وهذا محكوم بعامل الوقت ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واليوم هم الضحايا ، بعضهم كان يبكي بصمت وفي عيونهم خيبة امل وكأنهم يكتشفون لأول مرة انهم يتابعون افقا مفقودا.

كنت اعمل دون ان استريح ، وبمجرد ان ينتهي العمل مع مصاب ، يرفع الى السرير بديلا عنه ، استمر عملنا حتى منتصف الليل.

ارتميت على السرير في غرفتي في المستشفى وانا بكامل ملابسي ولا أدري كم من الوقت مضى لأغفو ، التاريخ الذي نعيشه هلاميا تتداخل فيه الرؤى التي تحكمها مصالح متناقضة ، كان هذا آخر ما دار بذهني.

حين استيقظت ، كانت الشمس تجتاح الغرفة فقد كانت الستائر مفتوحة ، على الأرضية الممرض المساعد وشخصين لااعرفهما ، كان الثلاثة يصدرون اصواتا طريفة متقاطعة وكأنهم في حفلة موسيقية سيئة غاب عنها ضابط الأيقاع.

ايقظت الممرض وغسلت وجهي ثم توجهت الى ردهات المرضى ، في الممر كان العديد من المصابين مركونين الى الحائط والمنظر مؤلم ، بعض المرضى كان يئنّ متوجعا والبعض ألآخر لايزال غافيا ربما بعد ليلة من العناء ، وهم على العموم صغارا ، فمعظمهم لم يتجاوز العشرين بعد ، اي ربيع يعيشوه؟ صبي شعره ينسدل على كتفيه كان يتقيأ ، عيناه جاحظتان وعلى وجهه صفرة باهتة ، طلبت من الممرض أن يأتية بحبتي دواء ، غسلت وجهه وطلبت منه ان يشرب قليلا مع حبتي الدواء.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مايزال الأطباء نياما والساعة الان هي السابعة ، اجتاحت الممر كتل سوداء تتحرك بسرعة فيما تصدر نشيجا مكتوما ، قال الممرض عوائل المصابين! ، من يصدق ان هذه الخيم السوداء تضم اجسادا نسائية تمتلك مشاعر مثل خلق الله ، تذكرت الكتيب الصغير الذي قدم لي في الباص وانا قادم الى المستشفى ، كان يحتوي على مئة واثنتين وثلاثين من الأذكار ولم يكن بينها واحدا تدعو فيه امرأة ربها ، كان كل مافيه للرجل ، لابأس اذا! تتحرك المرأة كخيمة في الصحراء العربية محكمة ألأغلاق ،خوف ان يتسلل اليها رذاذ المطر أو ذرات الرمل ، قال مرة شاعر في لندن وهو يتحدث عن اللغة العربية ، اللغة العربية تنفرد من بين كل لغات العالم بنون النسوة وبفصل واضح بين الأنثى والذكر!

قال الممرض: هذا ايضا تاريخ!

شعرت برغبة تتملكني في ان أبتعد ان أرحل بعيدا عن هذا العبث الذي يتحصن بهذيان مجنون وبغرف التعذيب والرشاشات المستوردة من بلاد الكفر!

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصل الرابع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اليوم هو الجمعة ، ، وليس لديه واجب في المستشفى ،والزخم الكبير الذي تعرضوا له خفّ الى اكثر من تسعين بالمئة ،وذلك لأن اكثر من عشرين مستشفى ميدان قد اقيمت على اطراف بغداد وقريبا من مناطق القتال ، كانت المستشفيات بكامل كوادرها الطبية واجهزتها المختلفة قد تبرعت بها الدولتان الوحيدتان في العالم المعترفتان رسميا بنظام الخلافة كحكومة شرعية ، كما أن المليادير العربي عجمي فزع القحطاني قد تبرع بتكاليف النقل ، وتركيب المباني الجاهزة ، كما تبرع بثلاثين سيارة اسعاف تم استيرادها من الولايات المتحدة الأمريكية ، مما لاشك فيه انه قيّم هذه الخطوات من وجهة نظر مهنية على نحو ايجابي وقال للدكتور فتحي ان مثل هذه التبرعات قد تساعد في توجه المستشفى لمعالجة المواطنين ، ولكن الدكتور فتحي لم يبدي موافقة كاملة او غير مشروطة كما يقال في السياسة ، فقد نظر اليه بامعان وترو ثم قال: مهمتنا هي المجاهدون ، ثم ماذا تعني بضع مستشفيات ميدان! نحن في معركة نيابة عن الأمة الأسلامية وبعدنا لن يكون الاالطوفان!

كانت الورقة التي وجدها ملصقة على الباب الخارجي لازالت ملقاة على طاولة المطبخ ، فضها ، عزيزي الدكتور... يؤسفني اني لم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

استطع ان أودعك لأن الخفارة في المستشفى قد منعتك من المجيء امس وانا مضطر للسفر الى(زاغنية) في ديالى ، كما تعلم ، ابن أخي جاءنا بزيارة ولأنه لايعاني من مشكلة البنزين (هو ضابط في وحدة الحرس الخاص) فانه عرض علي ان ينقلنا وهذه فرصة قد لاتتكرر ، سأدعو لك دائما بالموفقية واذا ما تحسنت صحة زوجتي فان هذه ســـــتكون الحياة الجديدة التي منحتنا ايّاها و تقبل شكري واعتن بنفسك

في اسفل الصفحة كانت ملحوظة تقول انه يقدّر اهميه الهاتف له وهويأسف لما قد يسببه هذا من قلق لأيمي

لم اعتقد ان سفر جاري سيكون له انعكاس على حياتي اليومية ،فأنا بالكاد أراه وقد تمر ايام دون ان نلتقي ،ولكني ادرك كم كنت مخطئا فأنا احس بضيق ، وأنا متأكد من انه ليس في البيت الى جواري ، هذا فضلا عن انه الجسر الوحيد بيني وبين عالم الحي الذي أعيش فيه ، فانا لآاعرف سواه ولو لم يقتحم حياتي لبقيت أدور في كوكب آخر... البي بي سي ليس لديها الكثير عن العراق ومونت كارلو تعطي انطباعا مشوشا وتبالغ في حجم المعارك ، اما اذاعة بغداد الأسلامية فقد كانت تقدم ندوة عن مكاسب الخلافة قال المذيع انها سلسلة من اللقاءات مع اصحاب الفكر ورجال الاقتصاد وكان موضوع اليوم (كيف تم حل مشكلة السكن في بغداد)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال استاذ جامعي لم يفصح عن اختصاصه:ان بغداد حاضرة المسلمين ، هي العاصمة الوحيدة في العالم التي لاتعاني من مشكلة السكن ويمكن لأي متابع ان يقوم بجولة ميدانية في احياء العاصمة ليجد ان مئات المساكن خالية ، كما أن معدل ايجار البيت انخفض في المتوسط الى اقل من عشرين في المئة من معدلات الأيجار قبل انتصار جند الخلافة.

شربت الشاي ببطئ وانا اتحقق من كلامه ، في الشارع الذي اسكنه لااطفال يلعبون الكرة ، ولامشاكل ناجمة عن عراكهم وصراخهم عند الظهر ، ولم تعد راوئح الطبيخ العراقي تتسلل عبر الجدران الفاصلة بين البيوت ، كما ان الكثير من محلات البقالة قد اغلقت ابوابها لانخفاض عدد الرواد... حسنا ،هذا دليل قطعي على صحة استنتاجات الدكتور الجامعي دون الحاجة الى اجراء متابعة ميدانية.. فالبيوت الفارغة في شارعنا ثلاثة أضعاف البيوت المشغولة!

قررت أن اذهب الى مركز المواصلات في السنك لأتصل بأيمي واطمئنها ولأخبرها بعدم الحاجة للأتصال على هاتف الجيران لأنهم قد غادروا البيت.

كانت ايمي كالعادة تقوم بمتابعة بحثها وتحاول حل بعض المعادلات على الكومبيوتر ولهذا كانت مكالمتي قصيرة ، كان حكمت في (الروضة) وقالت انه سعيد جدا بزملائه ، ويقضي اوقاتا جميلة كما انه يخلط ألان بين اللهجة العراقية التي تحبها واللهجة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخليجية الفاترة والممطوطة ربما بسبب البيئة الحارة والرطبة وساعات القيلولة الطويلة.

حين خرجت من مكتب الاتصالات الى شارع الرشيد الذي كان خال من المارة تقريبا ، لحظت أن ألأكشاك والباعة المتجولين بعرباتهم اليدوية قد اختفوا ، الشارع نظيف وهادئ ولكنّ خواء واجهني وانا اتقدم صوب ساحة التحرير ، ليس من أثر لعنفوان الحياة في بغداد ،شعرت بغثيان يندفع الى رأسي وبرغبة في الجلوس ، المقاهي الصغيرة في محلة البتاويين مغلقة والمكتبات الكبيرة التي كانت على مدخل شارع السعدون تحولت الى محلات عطارة ، روائح البخور المختلفة ومئات المسابح من الحجر والبلاستك والطين معروضة بشكل ينم عن فقر في الذوق ، على الرفوف مئات الكتب ، قررت ان أتصفح بعضها علّي أجد بعض المراجع ،نهرني بهدوء بائع ملثم في يده مسبحة طويلة

ياسيد التصفح ممنوع ففي هذه الكتب الكثير من ألاستشهادات ببعض الآيات وألأحاديث الشريفة وانت تعلم انه لتصفحها يشترط الطهاره ، وأنا لا أدري ان كنت طاهرا أم لا!.

لم أجبه ووضعت الكتاب مكانه ، الغثيان يشتد ، ماذا يعني كل هذا؟! كيف يمكن ان أستمر في هذا العبث الغامض؟!

عدت للبيت ، كنت احاول ان أفتح الباب حين سمعت صوتا خشنا يقول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كيف تسمح لك نفسك ان تدخل البيت وبعد دقائق تبدأ مراسيم صلاة الجمعة؟! حقا ان النفس لأمارة بالسوء ، هل سترافقني؟

لا ، سأدخل لأغير ملابسي فأنا لا أستطيع الصلاة بالبنطلون لأنه يضايقني.

لابأس سأنتظرك!

شعرت بان الحياة مسممة بطريقة مدروسة لضبط مسار الوعي واغراقه بدوامات مفككة تتلاشى وسط بحر من الجهل ، افراغ العقل والدفع نحو مساحات مسوّرة بعناية تحكمها فورات الخوف والشعور بالعجز التام والتسليم.

هل تتفضل أم تنتظرني على الباب؟

سأركن الى ظل النخلة!

غيرت ملابسي بسرعة ، ارتديت ثوبا رصاصيا ، تذكرت ان ايمي اشترته وأصرت أن البسه ونحن نجلس مساء في دبي لنشرب القهوة قبل ان نعود الى مواصلة بحوثنا ،

قالت بانها تجعلني أبدو أطول مما انا عليه ، ضحكت وقلت لها ، كانت أمي تصرّ أن ألبس (البجاما) مساء وكنت اشعر براحة مع الثوب ولكن ألآن اختلف ألأمر فأنا أحبذ ملابس الرياضة القطنية وانت تصرين على (الدشداشة)!

عند النخلة كان الرجل نائما ، ترددت في ايقاظه ، سقطت بضع تمرات من النخلة ، كان التمر بلون العقيق الصافي ، غسلتها من ماء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنبوب الحديقة الذي كان شحيحا ينساب قطرات متتالية ، أبقي الأنبوب مفتوحا طوال الليل ليتجمع ،في الحوض ألاسمنتي ما يكفي من الماء لأن ارش الحديقة وأسقي شجيرات البرتقال المزروعة بامتداد السياج ، قلت لأيمي: لماذا لانشتري مضخة ماء منزلية؟ قالت: هل بدأت رحلة ألاعتداء على ألآخرين؟

قلت لها: ولكن انصتي الجميع يفعلها!

قالت: هذه ثقافة الجماعة ، يجب ان نختلف عنهم لأننا متحضرون ، أليس كذلك؟! قالتها بشيء من التخابث.

قلت لها: تذكري أننا اصحاب أول حضارة في التاريخ ألانساني!

قالت: هذا لايمنع انكم تمارسون طقوس الغابات المنعزلة أو حياة القبائل في الصحراء العربية!

قلت: وما في ذلك؟ قالت ، لاشيء ولكن تذكر أن حربا دامت اربعين سنة بسبب سباق الخيل.

قلت: وماذا عن سباق كرة القدم؟

قالت: الأمر مختلف ، هنا الشجار ظرفي وبين مجموعة من الناس قد لايعرف احدهم ألآخر وهو على العموم غير مخطط له عن سابق قصد.

قلت حسنا لن ندخل في نقاش عقيم ولن نشتري المضخة!

كان الرجل يعاني من انهاك حاد ، هذا ما استنتجه في البداية وانا اوقظه ، عيناه تصران على أغماضة مرضية ، قررت ان اساعده ، غسلت وجهه بالماء وساعدته على الدخول الى البيت ، طلبت منه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ان يجلس على كرسي أمامي وذهبت لأحضار حقيبتي الطبية ، كان بالكاد يتطلع نحوي ثم يعود للنوم فهو يعاني من ازمة انخفاض حاد في نسبة السكر بالدم ، اسقيته كأسا من بقايا عصير عندي في الثلاجة ثم اعطيته حبتي تمر ، بعد لحظات بدأ يستعيد نفسه ، شكرني وأعاد اللثام الى وجهه ،

قلت: عليك ان تستريح ، لكن هل تعرف انك مصاب بالسكري؟

قال: لا ، ولكني اعرف اني اتعرض الى نوبات من الشعور بالأعياء والرغبة في النوم ، شكوت ذلك الى إمام الوحدة التي انتمي اليها فأعطاني تعويذة لازالت معلقة في رقبتي ، وكنت باستمرار ادعو الله ان لاأموت على فراشي ، كنت اريد الموت وانا في المعركة قريبا من الله تعالى لأدخل في جناته.

التهبت عيناه بنظرة صارمة وقال: لنذهب.

قلت له: انت بحاجة الى بعض الراحة.

مددته على سجادة صالة الأستقبال واعطيته بعض الماء.

قال: هل لي ببعض التمر.

وضعت امامه صحنا بالتمر الذي جمعته.

قال: أنت رجل طيب وسأحدث الشيخ عنك.

لم أجبه ولكني لم اكن أرغب في أن أكون موضوع حديث بينهم.

هل تسكن في بغداد؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اسكن في آخر الشارع ، لقد اعطاني الشيخ بيت أحدى العوائل الهاربة ، البيت واسع وأثاثه جديد ، أنا وحدي فزوجتي ترفض السكن في بغداد ولهذا فأنا أزورهم حينما احصل على أجازة ، لدي بنتان وولد ، البنتان تركتا المدرسة بعد الفتوى بعدم جواز ذهاب البنت الى المدارس ، مشكلتي هو الولد ، في العام الماضي انهى دراسته المتوسطة بتفوق حتى ان أحد مدرسيه قال بأنه يستطيع ان يكمل دراسته الجامعية بسهولة لأنه يملك عقلا متفوقا ، انه يرفض الأستمرار بالدراسة يقول ان تغيير المناهج بعد انتصار الخلافة يربكه فهو لايستطيع ان يحفظ سورة ياسين بيومين ، قال انه يفضل ان يكون فلاحا!

وماذا في ذلك ، البلد بحاجة الى الفلاحين لأنه بلد زراعي ووجود فلاحين متعلمين سيساعد كثيرا.

لم اقل له ان مايفعلة ابنه اكثر فائدة من عملية الحفظ القسرية.

قال الرجل وهو يغادرني: ارجو ان يمد الله في عمري لأقتل خمسين من اعداء الله والخلافة!

ولكن كم قتلت حتى ألآن؟

خمسة عشر عدد الذين ذبحتهم بيدي لأتقرب الى الله.

وتعتقد ان هذا غير كاف؟

لا ، فخمسة بيوت في الجنة تحتاج الى خمسين شخصا ، قال الشيخ ان البيت الواحد في الجنة بعشرة كفار

ولماذا خمسة بيوت؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لي ولعائلتي ، كل شخص ببيت
ولكن اليست اربعة كافية بحساب ان زوجتك ستكون معك؟!
لا ، لأني لن أتنازل عن حقي في الحور العين!
آه... فهمت ، بالطبع يجب ان تستمتع بحقك الذي نذرت له عمرك كله
وانت دكتور؟
أنا ماذا؟
ألا تريد دخول الجنة؟
تطلعت نحوه بفضول ، أريد ان افحصه هذه المرة لا كمريض يعاني من السكر في دمه وانما كأنسان تتملكه فكرة بالغة الغرابة يحتل الجنس فيها صورا شديدة الحضور تعوضه عن كل خيباته في الحياة ، الطريق السهل الى الجنة الذي افتى به الشيخ لا يستدعي فهما ولا اداء انسانيا يحكم عليه الآخرون وانما عملا سهلا يمكن ان يؤديه اكثر المخلوقات غباء ، وفي الجنة الموعودة ليس امامه من مهام أو عمل غير النوم كل ساعة في فراش حورية بالتأكيد اجمل من زوجته ، هل كان المسلمون ألأوائل يحملون هذا الفهم الذي يستظل بهمجية تنمو تحت سقف التجهيل المتعمد ، تذكرت قصة قديمة ، كان الجريح يريد ان يشرب الماء ولكنه سمع جريحا آخر يستنجد بطلب الماء فأعطاه اياه ، هذه رغبة في الحياة ، وليست استعجالا للعبور الى فراش حورية بلا اسم ولاعنوان!
من منا لايرغب في الجنة؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

طلبت منه ان يراجعني في المستشفى لأوصي باجراء الفحوصات اللازمة ، قال انه لايعتقد بالحاجة الى ذلك وأكد انه سينقل انطباعه عن مساعدتي وانسانيتي الى الشيخ!

صعدت الى غرفة المكتبة الصغيرة التي احتفظ فيها بعدد من الكتب المختلفة ، بما فيه الطبية التي قد احتاجها كمراجع والتي كنت قد جئت بها من انكلترا أو اشتريتها من دبي.

كنت اود ان اجد تفسيرا واضحا للحور العين ولماذا يصرون في دولة الخلافة على ان داخل الجنة من الرجال يكون له الحق بسبعين من اولئك النسوة رغم ان جدلا خافتا يدور بأنهن خمسون لا أكثر ولا أقل ، اعترف بان معلوماتي حول هذه النقطة تدور في العموميات وهي ان الجنة هي دار الخلد وقد أعدت للمؤمنين وانها تقدم للداخلين اليها كل ماوعدهم الله به في كتابه المجيد ، وفي القرآن لم يرد مثل هذا التفصيل ، كما انه لم يرد بشكل يمكن الركون اليه عن النبي الكريم ، مثل هذا القول الذي يدور ، لم أجد كتابا في الموضوع عدا كراس صغير سبق ان وجدته عند الباب بمغلف اسمر ، الكراس ينقل عن كتاب (شرح الخريدة) وصفا دقيقا للحور العين وهو في الحقيقة وصف مشوق وبالغ الطرافة حتى لكأن الكاتب كان يقوم بعملية وصف مشهد أمامه ، وهو يؤكد على مسألة لفتت نظري تتعلق بأنهن لايفقدن بكارتهن لأنها تتجدد كل ليلة ، فكرت ان هذا ربما يجد تفسيره فيما تمثله مسألة البكارة من قيم خلقية في المجتمع العربي ، تعبت من التفكير وشعرت برغبة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شديدة في النوم... اعتقدت اني احلم بان الباب يطرق... صحوت متعبا ، كانت ايمي تقول عدم النوم افضل من النوم المتقطع ، كم اشتاقها ، معها يمكن ان اناقش كل مايدور بخاطري ،قد نختلف ولكنها كانت دائما تنهي النقاش باسلوب فكه ، طلابها في الجامعة كانوا يجدوها سيدة رصينة تتمتع بحس عال للنكتة ، ولهذا كانوا شديدي الأنتباه لتعليقاتها الجانبية التي تكون مشحونة بتورية مربكة احيانا... اشتد الطرق على الباب ، كان ثلاثة رجال احدهم رجل دين يمسك بيدة مسبحة طويلة سوداء وعصا من الخيزران الرفيع ، كانت ملساء حتى ان العقد التي من المفترض ان تكون ذات لون داكن قد انمحت ، وبدت العصا قطعة واحدة وكأنها قضيب من العاج تم معالجته بدقة ، كان الرجل ذا العصا طويل القامة وجسده الممتلىء يعطي الأنطباع انه لايعاني من مشكلة في غذائه ، لم يكن يضع اللثام على وجهه ولهذا فكرت ان هذا ربما يكون احدى القواعد لأستثناء قادة المجتمع الجديد ولتمييزهم عن الأشخاص الآخرين

السلام عليكم

وعليكم السلام

اذا فأنت الدكتور الذي يتحدث عنه الجميع ، يسرني مقابلتك أخيرا ، انا أخوكم شيخ جامع الهداية ، وهذان اخواك في الاسلام

تفضل سيدي الشيخ

أدعو لك بالصحة وبالبركة لهذا البيت

تقدمت الثلاثة لقيادتهم الى غرفة الجلوس ، شعرت بالاحراج

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لوضع الغرفة التي كانت تسودها فوضى فيما يغطي الغبار الطاولة التي تتوسط المساحة بين الكراسي.

قال الشيخ: أعانك الله فأنت محكوم بوقت ضيق وبمشغوليات كبيرة ، ولايوجد في الدار من يساعدك ، ولكن قبل هذا وذاك أود ان اشكرك على ما قدمته لأخيك المجاهد فقد حدثنا بما تتمتع به من روح انسانية محبة للخير

لم أفعل غير ما أملاه علي واجبي كطبيب

نعم ، ولكن ليس كلهم يعملون ما يمليه عليهم الواجب ، باركك الله وهداك الى مافيه الخير والفلاح.

هل استطيع ان اقدم لكم شيئا لتشربوه

قليلا من الماء

لم يتكلم الشخصان الآخران ، بل اكتفيا بمتابعة الحديث ، كانا اشبه بكلبي حراسة على درجة عالية من التدريب والأنضباط ، في عينيهمـــا نظرات مراقبة متحفزة ، كانت ايمي تقول نحن في الغرب نواجه عيني المتكلم معنا لأنها تكشف عما يدور بخلده ، تصور ان هذه قاعدة ترقى الى مستوى القيم الأجتماعية ، لديكم الأمر مختلف أنتم تحرصون على المداورة والبعض ينظر فوق رأس المخاطب وكأنه يعبر له عن الأستهانة به أو ليشعر محدثه انه أعلى مكانة ، انه الزعيم!!

كانت عيون مرافقيه خبيثة وفي عمق البؤبؤ ترقد اشباح همجية مخاتلة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الشيخ: هنالك امران جئت من اجلهما.

لم يدع لي فرصة التعليق لأدعوه لأن يتفضل بالحديث... كلي آذان صاغية

تابع: أحدهم ، أدعوك الى مواضبة الحضور الى المسجد كلما كان ذلك ممكنا لك ، أنا اعلم انك مشغول بالمستشفى وانك دكتور على درجة عالية من الأهتمام بالبحوث ومتابعة المستجدات في حقل الطب ، ولكني اعتقد انه يمكنك الحضور بين آونة وأخرى لتتزود من زاد الأسلام والهداية ولتضيف الى معلوماتك ما ينفعك في امور دينك

قلت: سأحاول ان شاء الله

نهرني أحد المرافقين وطلب مني ألا اتكلم الا بعد ان ينتهي الأمير من كلامه ، اعتذرت بارتباك

تابع: الأمر الثاني ، هو بقاؤك وحيدا في البيت وسط سكن عوائل وانت ما تزال شابا والأمر لايسلم ، وغواية الشيطان فخ للمؤمنين ، نحن نعلم انك متزوج من كافرة غادرت بغداد والشريعة تحلك من هذا الزواج ونحن على استعداد لأن نوفر لك امرأة فاضلة من أخواتنا المجاهدات اللواتي فقدن ازواجهن ، في الحقيقة الأمر ميسور ولدي قائمة بالأسماء وكافة المواصفات وبالطبع يمكنك الأختيار فلكل رجل ذوقه!

بدا لي الأمر وكأنه مزحة ثقيلة ،ولكن الشيخ كان جادا ورغم ان اسلوبه مؤدبا ، الا انه كان واضحا وتحدث بلهجة جادة بل ومتزمتة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولكن أيعقل هذا؟ انهي علاقتي بايمي وبحكمت وبالتاريخ المفعم بالمودة والحب والجهد المشترك ، وهل استطيع ان ابدأ حياة جديدة بدونهما؟ شعرت اني اقف على شفى حفرة من النار فكيف اتراجع؟ والى أين أمضي؟ هل يريد الشيخ ان انفصل عن ذكرياتي هذه التي كانت تترسب في اعماقي وتتداخل مع هواجسي وتتشابك مع طموحاتي في الحياة ومع رؤى لاحصر لها ، هل جرّب الشيخ معنى ان ينفصل الأنسان عن تاريخه ليقف في فراغ معطوب ، ربما يعرف انه فائض في هذا الزمن ولكنه يتشبث عبر اصراره الأمساك بمنبر المسجد.

كان أبي يقول ، في المواقف الصعبة استخدم الوقت ، لاتتعجل ، عبر شباك غرفة الأستقبال بدت ألأشياء مشوشة ، النخلة التي تهز سعفها ريح سموم ، شجيرات البرتقال التي بدت عطشى تلتوي اوراقها بشيء من الأستكانة ، وفي داخلي كانت الرؤى مشوشة أيضا ، قرأت عن الدكتاتوريات في روايات كتاب امريكا اللاتينية وفي روايات الكتاب العرب ممن كتب لهم ان يتركوا بلدانهم الى المنافي ، وكانت كلها تشترك في الحديث عن الصفة الأزلية لمثل هذه الأنظمة ، وهي وجود خط احمر من يتخطاه فله الموت أو الأقامة الدائمة في زنزانات نسيها العالم ، هذا الخط يفصل بين الذين يقفون بوجه الحاكم وأنظمته ومؤسساته وبين الاخرين ربما الخائفون أو النفعيون أو الذين لايعنيهم الأمر ولكل هؤلاء الحق في الضحك يوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عيد ميلاد الرئيس ، أو البكاء يوم وفاة والدته ، من حقهم ان يذهبوا الى جزيرة السندباد أو جزيرة بغداد أو غابات الموصل وان يرقصوا هناك ويضحكوا وبالطبع ان يستمعوا اويعزفوا موسيقى (الروك) ولكن حكومة الخلافة ألغت الخط ألأحمر ، الخط المستقيم العازل بين جزئي الدائرة التي يحاصر فيها الشعب ، الخط الآن حول محيط الدائرة كلها ، الضحك ، أما جهالة أو سفاهة والبكاء اعتراض على أمر الخالق ، والرقص والغناء من صنع الشيطان وهي وسيلة للغواية ، ولهذا كف جاري عن ألاستماع الى باليه بنات الحور وأبعد شوبان عن ذهنه فقد يتعرفوا عليه!

قال الشيخ: نستأذن

ايقظني من ابحاري بعيدا في عمق مشاعري

شرفتموني

ندعو لك بالهداية والصلاح وننتظر قدومك الى المسجد وقد اتخذت قرارا بشأن المقترح

ان شاء الله ، وعسى الله ان يقدم مافيه الخير.

أغلقت الباب وكأني اسد فتحة كهف تسكنه العفاريت وشياطين بالغة القسوة والخبث ، حاولت ان استعيد وعيي المشتت في دوائر تلف حول بعضها بسرعة جنونية وتدفع بي الى عوالم لم تكن جزءا من تاريخ كوكبنا ، رغم كل الموجات البربرية التي مرت به ، قال أبي ، اعرف انك رجل علم وفكر وانك تؤمن بالنتائج التي يدركها العقل وتحصيها التجربة ولكن جرب ان تقرأ بعض الآيات... جرب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ففي كل الأحوال لن تخسر شيئا!! كانت سورة الرحمن بموسيقاها العذبة تنساب بيسر الى روحي ، كيف لهؤلاء ان يعادوا الموسيقى؟!!

الليل يعود بلا قمر فوق بغداد والكهرباء لا تتحمل اجهزة التبريد والماء متواصل ولكن بكميات محسوبة ، أخرجت كتابا لأيمي كانت قد نشرته دار نشر انكليزية معروفة بطبعتين كانت الأولى أنيقة ومغلفة والثانية طبعة شعبية بورق اسمر وبغلاف من الكارتون ، كان الكتاب يقدم نتائج دراسات تطبيقية في قرية بجنوب لندن

عملت فيها ايمي ولمدة ستة اشهر حول تطبيقات الطب المجتمعي الموجه ، وفي الكتاب طرائف لما صادفته ومجموعة البحث ، كان اسلوب الكتاب سلسا.

شعرت برغبة في رؤية ايمي وانا اتلمس ظلها على الحروف وفي ثنايا الكلمات.

الظلمة تشتد والضوء الشحيح يتعب عيني ، تركت الكتاب لأتابع بضع نجيمات تومض وكأنها متعبة أو ضجرة من هذا العالم الذي تطل عليه ، الظلمة والضوء تتابع ميكانيكي لاعلاقة له بعنفوان الحياة المدمر الذي يزحف من كهوف لم تصلها الشمس ولم تعرف التاريخ وتظل تغرق في الرطوبة والعتمة ويقطع صمتها أزيز حشرات عمياء تصطدم بالضيوف الثقلاء الذين سدوا كافة الفتحات في الكهوف ليضللوا مطارديهم.

ارتميت على السرير تحت ضغط الأجهاد والنعاس ، نوم متقطع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واحـلام متداخلـة وكأنهـا لقطـات سـريعة لمنـاظر مليئـة بالرعـب واللامعقول وجه ايمي بعينيها المندهشتين وكأنهما تطلان على العالم لأول مـرة تنضحان بعتاب مـر ، وجـه حكمـت بعينيـه السـوداوين الواسـعتين الموشـحتين بـشوق طفـولي وحـنين يبعـث في مـشاعري نشوة خفيفة واحس اني يمكن ان أطير ، وجه أبي انمحت ملامحـه ولكن صوته لازال يحمـل رنـة غامضة كانـت تسحرني وهو يمسح على رأسي ، مـاذا تريـد ان تكـون ، طبيبـا ، لا ، اعتقـد ان الهندسـة المعمارية اقرب الى حساسيتك المفرطة تجاه الفن ، الطبيب يتعامـل مـع الـدم والأجـزاء البـشرية المعطوبـة ، يطـل وجـه امـي الأبـيض والرائحة الخفيفة للبخور في ملابسها فأشعر ان شيئا مـا سيحدث ، قد يصعد القمر في فضاءات سماء بغداد ، وعلى خط ألأفق البعيـد تتقدم سحابة مثقلة بالمطر الـذي يبطئ مسيرها ،ويقف قبالتها قـوس قـزح يفتح المساحات المنسية مـن سمـاوات سـقطت مـن الـذاكرة ، العـرق الـذي بلـل الوسـادة تـسلل الى عـيني فـشعرت بحرقـة ، استيقظت ، في الحديقة ألأمامية كان الحوض الأسمنتي ممتلئا بالماء ، بـدأت بـرش شـجيرات البرتقـال الـتي بـدت متخاذلـة تحـت أضـواء بنفسجية تتقدم الفجر ، نبح كلب في الزقاق ثـم صـمت ، مـن وراء السياج الخـارجي قـال رجـل يحـدث زميلـه بـصوت خافت ، الوضـع حـرج وبغـداد اصـبحت منعزلـة ، قـال زميلـــه احكـم لثامـك هنـاك شخص ما في الحديقة ، قال الآخر ، انه الدكتور

السلام عليكم دكتور

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعليكم السلام

أمس كنت في بعقوبة وقد كلفني جارك ان انقل لك شكره على مساعدتك في موضوع زوجته فقد بدأت تتحسن ، رغم انها مازالت تصر على الصمت.

أشكرك والحمد لله

قال انه سيحضر بنفسه ليشكرك ، ربما في اليومين القادمين

كنت أود معرفة المزيد ، هل ابدأ بالتخابث؟! ماهي الأحوال خارج بغداد وكيف تجري الأمور ، بدا لي الرجل مهيئ للحديث

هل تقدمان لي معروفا ونتناول الشاي سوية؟

قال الرجل ألآخر: أنا لااستطيع وسأنتهز الفرصة لزيارة والدي ، انهم يسكنون على مقربة

قلت: واحد يمكن ان يفي بالغرض ، المهم صحبة على الأفطار!

دخلنا المطبخ ، قمت بجمع الأواني المبعثرة وساعدني هو بغسل بعض ألأطباق ، لم يتكلم ولكنه كان مهموما

واذا فقد كنت في بعقوبة؟!

نعم.... كنت قد أخذت اجازة لثلاثة أيام لأصالح زوجتي ، والدتي صعبة بعض الشيء..

ولكن هل يسمح للزوجة بأن تحتج اذا ماتعرضت لأذى؟!

نظر نحوي وكأنه لم يستوعب ماقلته وربما لأنه شك بمقصدي ، تأوه وجلس الى الطاولة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النساء كما هنّ منذ حواء وحتى أصغر طفلة من بنات أمير المؤمنين!

قال الكلمات الأخيرة بصوت خافت

وهل عادت زوجتك؟

نعم

ولكن ماذا عن الطريق؟

تعني القتال! انه في البساتين وفي اطراف المدينة أما في المناطق البعيدة فهي بحكم الساقطة ، الأعداء الآن بكل مكان وهم يتكاثرون مثل (الدغل) في المزارع ، ويقال ان الأمريكين يمدونهم بالسلاح وانهم ندموا على انسحابهم ، بالأمس عرض التلفاز خبيرا امريكيا كان مع العدو ، ألم تشاهده؟

لا فأنا لا اشاهد التلفاز ، لأني اما متعب أو أراجع بعض المعلومات ان توفر لي الوقت

المشكلة هي في الجنوب فقد سيطروا على محافظات عدة وهم يجمعون قواتهم وينسقون مع الأكراد لشن الهجوم الكبير على بغداد

صمت برهة ثم قال: اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم.

كان زميله ينادي عليه ، اعتذر على عجل ودعى لي بالسلامة ، بدأت خيوط الشمس الأولى تكشف الكون المغبر الموشح بالشقاء ، ارتديت ملابسي وقررت الذهاب نحو الباص ١٤٠

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصل الخامس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حين كنت انهي يومي في المستشفى بلندن بعد اجراء عملية جراحية واحيانا اثنتين ، فأني اعود للبيت مباشرة وبعد استراحة قصيرة ادخل غرفة المكتبة لأقرأ المجلة الطبية أو لأعود الى بعض المعلومات الضرورية في المراجع ألأساسية التي احتفظ بها ،ثم اخلد الى عزلة قصيرة ،اغمض عيني واسرح في عوالم اخرى ،كنت أحس بحاجتي الى بعض ألإيمان.... قال اني لاأحب الآفلين ، وكان ذلك بداية رحلة التجريب ، والعلم يتأكد بالتجربة والعقل يقف قويا بوجه الخرافة..

كان يتأمل السماء وهي تضفي على العالم صفاء وقورا و في ليالي الصيف في بغداد ، كانت النجوم البراقة تستأثر بأهتمامه فيتتبعها ويتخيل رسوما غريبة ملونة ترافقه في نومه ، أمه تعد الناموسية بعد المغرب كانت تقول ان الوقت الذي يسبق المغرب تنشط فيه الشياطين والجن فتتحرك بدوائر عنيفة الأيقاع ،ولهذا فأن الغبار وأسراب البعوض تصاب بالعصبية والخوف وتهرب بكل الأتجاهات ، الهدوء الذي تبدو فيه النجوم وهي تطل عليه كان يسحره وفي الصباح تبدأ عشرات الديكة بالصياح ،ربما لأنها تعلن عن بدأ صعود الملائكة الى السماء ثانية مع بدايات الفجر الذي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كان يتمدد مسترخيا.

قال الدكتور جراح ألأذن وألأنف والحنجرة وهو يفرك عينه اليسرى المصابة بحول ظاهر بسبب ضربة مجاهد على وجهه و التي يصر الدكتور انها وقعت قبل اعلان الخلافة ببغداد.

الفجر الآن اسرع ، كل شيء يجري لمستقر له

قال الدكتور فتحي: ماعلاقة هذا بذاك؟!

بلوغ الغاية هو نهاية المرام ،ونهاية الفجر هو بداية العمل ، وماتحتاجه الخلافة مزيدا من الجهد!

وشوشني الممرض وهما يخرجان من الغرفة

لاتصدقه!

حين تطلعت اليه مستغربا

قال: لم يقم باجراء اية عملية منذ شهر ولايبذل اي مجهود للمساعدة ، الخوف هو الذي يدفعه للحديث بعد حادثة عينه اليسرى.

نعم!

حسنا ، كنت شاهدا على الحادثة ، كان يركب سيارته الخاصة ، في الشارع الكبير أمر الجميع بالتوقف على الجوانب لأن موكب أمير المؤمنين في طريقه الى القصر ، لم ينتبه الدكتور واستمر في سيره ،أوقفه المجاهدون وأنزلوه من السيارة ثم.... وهكذا ضاعت عينه ، أما السيارة فقد تم مصادرتها باعتبارها وسيلة جرمية!

حين رأى نظرة الأستغراب التي كنت اتطلع بها اليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال: نعم فهو قد ارتكب جرما باستمراره بالسير وعدم الأمتثال للأوامر ، وكانت الوسيلة لهذ الجرم هي السيارة فهو لم يكن ماشيا مثلا

وهل يعني هذا انهم كانوا سيصادرون قدميه لو كان ماشيا؟!

يعتمد هذا على المعلومات المتوفرة عنه ، فقد يصادرون حياته وقد يكتفون بقدميه!

كان يبتسم.

قال: نعم ، انه مضحك!

لم يكن يفكر بالدكتور الذي أحولوه ، عند بوابة المستشفى استوقفه رجل ، كان يرتدي ثوبا ممزقا من جوانبه وسترة من الصوف ، رغم ان صيف بغداد لم ينته بعد ، وعلى رأسه كوفية منقطة بالأسود ولكن قاعدتها البيضاء كانت اقرب الى اللون الرصاصي ، وجهه ألأسمر بدا داكنا بلحيتة التي كانت شعيراتها السوداء متباعدة مما اضفى عليه بؤسا عميقا ، عيناه بدتا غريبتان ، كان فيهما نظرة مستفهمة تلتمع باهتمام وعلى شيء من الشراسة المناقضة لملامحه المستكينة ، كان لديه سر يحرص على البوح به ، أخرج من جيبه قطعة كارتون لم أر مابها

قال:هل تقرأ جيدا ، اعذرني معظمهم لايستطيع ان يقرأ الجملة كما هي ، انهم يقفون في المنتصف وهكذا يضيع المعنى وانا حريص ان أتأكد مما لدي؟!

قالت له: لأرى أولا ما لديك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ناوله قطعة الكارتون المهترئه ، كان على الوجة مستطيلا فيه منظر تموج جبلي وتحته توقيع لشخص ما وفي ألأسفل (سجائر تركيه) تذكر أن أباه كان يقول ان سكائر سومر الحديثة افضل من سكائر غازي وتركية

قال الرجل: هل قرأت!

نعم انه بقية مغلف لعلبة سكائر قديمة ،هنا مكتوب اسمها.. سكائر تركية

مد الرجل يده بحدة اليه وقال: هات المستند أنت ايضا لاتعرف القراءة!

ولكن هذا فعلا ماهو مكتوب

أعرف ماهو مكتوب في ألأسفل ، كنت اريدك ان تقرأ ما في التوقيع تحت الجبل

لاشيء ، مجرد توقيع

ضحك الرجل بقهقهة مجلجلة وقال: كلكم سواء ، لو دققت النظر لأستعطت فك (الطلسم) ، ولكنك مثلهم تقرأون الجغرافية ولاتتعرفوا على التاريخ!

حسنا ياسيدي ، ماهو المكتوب في (الطلسم)

بدا على مظهره الجد والتمعت عيناه وقال: مكتوب هنا.. نحن الأتراك سنقوم بتصدير القردة و(البزازين) الى العراق

ولماذا؟

لاأدري هذا واجبك ، لماذا تلبس القميص والبنطلون اذا؟!

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولكن لايوجد في تركيا قرود!

من الهند

قالها وهو يبتعد

قال الممرض: مدير المستشفى يريدك

كان الممرض قد اعلمني (وهنا لابد ان اقر بحقيقة وهي ان الممرض أمدني بمعلومات مفيدة عن العديد من العاملين في المستشفى) أن مدير المستشفى ليس طبيبا وحتى انه لاعلاقة له بالطب ، كأن يكون صيدليا مثلا فهو أمام جامع ويحمل شهادة جامعية من كلية الشريعة وهوايته الوحيدة هي صيد السمك بواسطة المتفجرات ، وعين مديرا عاما للمستشفى لأن امه كانت تصر على ان يكون طبيبا لتفخر به ولتسمع جاراتها ينادينها أم الدكتور ، وهي اي امه كانت تقوم على خدمة أمير المؤمنين أيام توليه أمارة العراق متخفيا ، و كانت تتولى اعداد وجبة السمك بالتنور التي كان يفضلها الجنرال (أختر هوك) اثناء زياراته السرية للبيت ، ويقول العاملون في المستشفى من الذين لايعجبهم العجب ان السيد المدير العام محصن ليس بالأذكار وانما ببركات امير المؤمنين وفي اليوم الثالث لتعيينه تم انقاذ صبي كان معرضا للموت وذلك باجراء عملية جراحية مستعجله له وصادف ان كان المدير العام في غرفة العمليات للتفرج على (العملية) وحين خرج تلقته ام الصبي وهي امرأة من قرية على اطراف البادية جاءت تزور اخيها في بغداد ، كانت المرأة الوحيدة التي انتهكت المنع ، سألته عن ابنها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فقال لها

مشافى ان شاء الله

وحينما استعاد الصبي وعيه ، جاءت الى المستشفى بثلاثة ديكة بيضاء وذبحتها امام غرفة المدير العام ولطخت الباب بالدم وهي تقسم ان الديكة لم تدخل الدنيا ، وهي شديدة الحياء وانها بعون الله ستجلب البركة والخير للمدير العام.

في اليوم التالي ، بدا المدير العام عكر المزاج ، فقد نمى الى علمه ألأقاويل التي بدأت تنتشر ، على الرغم من طوابير الحرس المنبثين بكل الزوايا ، والتي مفادها ان احد الديكة الثلاثة لم يكن وفق المواصفات المنصوص عليها ، لتحل البركة على المضحى له ،فقد لوحظ انه كان يبكي وهذه علامة على انه يفتقد عائلته وانه تذكر زوجته واولاده وهو ما يحدث عادة عند ذبح الرجال الذين يعرفون انهم مفارقون عوائلهم الى ألأبد.

قال المدير العام وهو يومئ لي بالجلوس: اعتقد انك تفضل الشاي ، هكذا هم سكان انكلترا!

جلست على كرسي مرتفع بعض الشيء مسانده من الخشب ألأسود اما القماش فقد كان من القديفة الحمراء بتشجيرات بارزة ، وعلى الجوانب كانت مسامير ذهبية بصفين ، الغرفة معتمة وفوق المكتب مصباح يسيل منه ضوء شديد البياض ينحصر بدائرة ضيقة فوق الأوراق المرصوفة بعناية على الطاولة

يسعدني ان التقي بك دكتور وقد كان لكتاب شيخ مسجد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الهداية اثرا طيبا في نفسي ، الشيخ يمتدحك ويثني عليك ، وقد طلبت ملفك وكان نظيفا تماما ، ولهذا ولأننا بصدد اختيار اطباء أكفاء ولا تحوم حولهم الشبهات لأستلام مهام المسؤولية في مستشفيات الميدان الجديدة فقد رشحتك لمستشفى المحمودية وقد وافق الأخ الوزير على هذا الترشيح ، يمكنك ان تتسلم العمل بعد يومين وقد امرت بان تمنح اجازة خلال هذين اليومين لترتيب امورك ، بالموفقية

نهض من كرسيه بتثاقل مادّا يده ، كانت كفه رخوة وباردة ، ودعته بعبارات مجاملة وانا مندهش من طريقة تعامله مع الموضوع برمته ، على الباب كانت بقايا آثار الدم وقليلا من الحناء.

قال الممرض ان رجلا مصابا بالبرص هو الذي لطخ الباب بالحناء وهو يصرخ الله اكبر ، حين أخذه الحرس الى غرفة التأديب كان مصابا بحالة من الهستريا فلم يشعر بالضرب الذي تعرض له ،وقال المدير العام أمام الجمع الذي تجمهر ، ليشهد الجميع اني براء من هؤلاء الناس واني براء من هذا العمل ، كما ردد (والله اني استغفر الله وأتوب اليه) سبعين مرة مما دفع بالدكتور فتحي الى احتضانه والتأكيد له أن الجميع سيشهدون بذلك وانه بريء من مثل هذه الطقوس التي ذهبت مع الأحتلال.

قال الممرض وهو يساعدني بجمع حاجياتي: لقد استلمت الأمر الوزاري بتنسيبك الى المستشفى الميداني في المحمودية ، سنفتقدك دكتور.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تأخر الباص رقم ١٤٠ والشمس تحتل الأرض والصمت مسترخ فوق المدينة ، تذكرت الأله السومري انليل الذي ذبح نصف السكان لينعم بساعة صمت يخلد فيها الى النوم ، اليوم ،الصمت ضجّ يستنجد بالصراخ ليستيقظ و ليمارس شيئا نافعا فقد ملّ الكسل والنوم في ثنايا التوحد والقهر المفروض على المدينة ، ألآلهة تطلب الهدوء ، والصمت يناشد الشياطين ان تسعفه ،

راوحت قدمي على الأسفلت الساخن والذي تنبعث منه حرارة تنفذ عبر جلد الحذاء الى اسفل القدمين فأشعر اني أذوب ببطئ ، حولي بضعة رجال تسيل من عيونهم نظرات منكسرة ،قهر مكبوت ، بكى طفل وهو يتقافز صارخا أن قدميه قد احترقتا ، لن يذهب بعد ألان ليلعب الكرة ، حين صعد الجميع أخيرا الى الباص ، قال السائق ، اذكروا الله.. وادعوا لأمير المؤمنين ،

لم يتكلم أحد.

في المطبخ حاولت ان اجمع الصحون المبعثرة وانظف الأرضية وازيل بقايا ألأطعمة.. كان المذياع الصغير على طاولة الطعام يبث اغنية دينية ، يسترسل المغني بلهجة سلسة وبموسيقى هادئة ثم يصمت ليصرخ الكورس (الله أكبر) وترتفع ضربة طبل مدوية.. كنت قد نمت طوال الظهر ، ولم احلم باحد كما لم تزرني الكوابيس ،كنت متعبا ويراودني شعور حاد بالملل ، فوق شجيرة البرتقال الصغيرة كانت عصفورة تجمع حولها ابناءها الثلاثة على الغصن الأدنى للأرض ، لحظت ان الجميع تسودهم نظرة تفاهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكأنهم يرتبون لأمر ما ، كانت الأم تفرد جناحيها ببطئ فيقلدها الصغار ثم تنزل الى الأرض فيتبعوها ، تعود ثانية لتقفز الى الغصن.. اثنان تبعاها أما الثالث فقد كان يلتقط بعض الطعام.

مساء كنت اتناول طعامي فيما يضفي الضوء الشاحب كآبة مضاعفة على الجو العام في المطبخ ويجعل للصمت الغافي في الزوايا حضورا مبالغا فيه ، وضعت الصحون في حوض الغسيل وتهيأت للصعود الى غرفة المكتبة ، تناهى الي صوت نسائي حاد النبرات من البيت المجاور ، كان الصوت يعبر عن نفاذ صبر وفي ثنايا الأحرف كان رفض وثورة حادة

لا ، الوضع لايمكن قبوله ، مئة مرة أقول لك يجب ان تستبدل مرآة خزانة الملابس ولكنك تتجاهل ذلك ، لااستطيع ان اجد نفسي وانا اتطلع فيها ، مشروخة من أعلى لأسفل ، دائما أرى نفسي اثنتين والواحدة لاتشبه ألأخرى ، هل تريد أن اصاب بالجنون؟

الصوت الآخر لم يكن واضحا ، كان يضيع في الفراغ

مرآة الممر؟! يبدو انك لست في البيت! يارجل ، مرآة الممر أكلها الصدأ وهي لاتكرر الصورة مرتين ، ما أراه صباحا هوغيره في المساء

ثانية الصوت الآخر منخفض ، يبدو ان المرأة ضربت المرآة بقطعة حادة كرد على الرجل فقد سمعت صوت الزجاج المحطم مرّت لحظة صمت ثم صرخت المرأة بلهفة

لقد جرحت ، ارفع يدك للأعلى وسأجلب الضماد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

انقطع الصوت وساد صمت ثقيل ، وتقدم الليل موشحا بنجوم لاتومض بل هي شاخصة بلا مبالاة.

لم استطع مواصلة القراءة ، ذهني يشرد وأمامي تمتد طرق بلا نهايات محددة ، لماذا بقيت في بغداد ولم أرافق ايمي؟ والان الى اين اتجه؟ هل هناك من طريق للهروب من هذا الكابوس الذي لن ينتهي والذي يتمدد بكل قسوة في نواحي روحي فأشعر بوخزه المؤلم وهو يضغط على نقاط التقاطع بين مساحات الشعور بالندم ، توقفت لحظة عن الأسترسال فقد عادت المرأة تتكلم ولكن بصوت هامس يفيض حنان ، يؤسفني ان أتسبب لك بهذا الجرح في كفك ، كان منظر الدم مرعبا شعرت اني اتعرض لنوبة اغماء.

كان السكون شاملا وصوت المرأة يرسم مسارا الى النجوم التي لاتومض شاخصة كأنها مكلفة بواجب لا ترضاه .غدا سأكلم ايمي وسأستمع الى حكمت. ولكن ألمهم ان احاول العمل على البحث عن طريق لمغادرة العراق ، كان الصوت مشوشا وحكمت يلعب كرة القدم مع اصدقائه في الساحة المجاورة ، قالت ايمي بهدوء ان عليّ ان ادرس جيدا ، في العلم يجب ألا نترك شيئا للمصادفة! ، كنت قد قلت ، اني ابحث عن سفرة طويلة وفهمت هي ماأقصده ، قالت ستتصل ببعض الأصدقاء من العاملين في مكاتب السياحة وستعلمني اذا ما حصلت على رد مناسب!

نبتت الفكرة في رأسي دونما مقدمات وحين أطلعت ايمي عليها بطريقة ملتوية بدأت تنمو وتمد جذورا على نحو متسارع وهذا يعني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنـي كنـت مهيئـا في لاوعيـي ولكـن الحـدث اليـومي كـان يبعدني .وضعت الشريط في المسجل ، كانت موسيقى هادئة لعزف على العود للفنان جميل بشير ومع اللحن شعرت بأسترخاء ، غدا سأذهب الى المسجد لأسجل(حضورا) ومن ثم أفكر بجدية في موضوع المغادرة! لم يشغلني التفكير كيف سأدبر ألأمر؟ وانا بلا اصدقاء والشخصين الوحيدين الذين اعرفهما هما جاري المسافر والممرض المساعد الذي لا أدري لماذا أثق به! توقف جميل بشير عن العزف وسقط الكتاب ، الذي لم اقرأ منه صفحة واحدة ، من يدي ، داهمني نعاس لذيذ ، ولكن صوتا حادا عبر كل جوانب الصمت دافعا بحزمة متسارعة من الضجة والعنفوان في قلب الليل الراكد ، انطلقت مئات البنادق والرشاشات الثقيلة بكل الأتجاهات وسمعت الدار المجاورة تغلق شبابيكها ولكن لم يرتفع صوت بشري ، لابد انها معركة أو حالة تعرض عابرة ولكن الخوف الذي بدأ ينتشر ، كالفطر السام في ارض يحاصرها المطر ، يدفع الأصابع الى الضغط على الزناد دون التفكير لماذا والى اي هدف؟

انتهى كل شيء بسرعة وعاود الصمت احتلاله للمدينة ونام (انليل) بعد ان قتل نصف السكان المشاغبين والذين كانوا قد قرروا السهر احتفاء بتحقيق(الاله) الفصل بين أبويه آن وكي.

فكر انه الآن فقط بدأ رحلة الألف ميل ، القرار هو نقطة البداية ، حين تصوب الى الهدف يتقرراين ستذهب الرمية ، وهو في هذه اللحظة يشعر بهدوء غريب يتكاثف في اعماقه وبراحة لم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يستشعرها منذ أمد ، صعد الى سطح الدار ، كان الهواء لايزال حارا والريح متوقفة كأنها تتحفز لأمر ما ، كانت امّي تقول ان سكون السماء وتوقف النجوم عن الوميض اشارة ، انها تتذكر آخر مرة حصل فيها هذا... كانت صغيرة ربما في السادسة ولديها ضفيرتان كانت تأرجحهما بنشوة غامرة وهي تركض ، كانت تختلق الأسباب للركض لترى ضفيرتيها تتأرجحان ، كانت عائدة عند البدايات الأولى لغروب الشمس ، من محل (الأحمر) وبين يديها كيس من القماش فيه قطعة ثلج ، قالت بان الأحمر ليس اسم البائع ولكن شكله على العموم كان أحمرا ، وجهه وشعر رأسه وشواربه الدقيقة ، كان الشفق ألأرجواني قد بدأ بألأنسحاب وشعرت ان كل ما في الكون يترقب نهاية هذا السكون الغامض ثم وعلى حين غرة ادلهمت السماء ، خفت حد الموت وارتعشت مفاصلي وجريت ، حين وصلت الدار لم أدخل وقفت تحت قوس الباب لأراقب مايجري ، زمجرت السماء بغضب وجاءت غيمة سوداء لاادري من اين وسادت ظلمة موحشة ولكني كنت مسمرة في مكاني ربما بسبب الفضول الطفولي وربما بسبب الخوف الذي شلّ حركتي ، أمامي بدأت ضفادع صغار تنط في الزقاق وهي تصدر اصواتا شيطانية ، كانت الغيمة تمطر ضفادعا ، لم يكن هناك من مطر ، حتى ولا قطرة ماء ، في الداخل كان أبي يصلي وكانت امي تجمع اخواني وهم يرتجفون من الخوف وتقرأ امامهم ، اذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتهاكاذبة ، خافضة رافعة ، لم يهتم بي احد وانا ادخل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بقطعة الثلج ، بعد أيام قتل الملك وجرى التمثيل بجثتي الوصي ورئيس الوزراء ، النجوم عاودت وميضها وتحرك الهواء يمسح وجه الأرض وتساقط مطر كرستالي صاف وظهرت صورة الزعيم على وجه القمر.

لم يكن يجرؤ على تكذيب أمه أو أن يقول لها تفسيرا منطقيا لما حدث فقد كانت مأخوذة بانبهار الذكريات المؤثرة والمسيطرة على كل مشاعرها ، تطلع الى السماء ، ماذا تريد (آكي) أن تقول؟

شعر بالتعب فيما كان فجر باهتا يتقدم متثاقلا ، نزل الى غرفة النوم ، ارتمى على سريره ، كانت هناك وسادة واحدة فهو منذ مدة كفّ عن وضع وسادة ايمي على السرير ، كانت الذكريات تؤلمه وحاول ان يستعين بأرادته على تقبل الوضع كما هو.

لم تعاوده الكوابيس ولكنه حلم انه في بستان ، لم يشاهد ثمرا ، الأشجار زاهية الخضرة ، أوراقها تلتمع بحبات الندى المتعلقة بها و(الثيّل) يغطي الأرض ، ماذا ستقول امه لو قصّ عليها ماشاهده! لايمكن ان يكون افتقاد الثمر علامة مشجعة ولكن الخضرة تعني الخير ، دائما تجد له منفذا لمستقبل مشرق وهو لاينكر انه استعان بتفاؤلها في العديد من المواقف ، ارتفع أذان الفجر ، فكر انه لم ينم أكثر من مساحة الحلم ولكن رأسه بدأ يزدحم بافكار شتى فهو مثقل كأنه محشو بمواد ثقيلة ، نزل الى الحمام ، ترك الماء الذى بدا انسيابه معقولا ، بسبب قلة الأستهلاك فجرا ، يغرق جسده المتعب ، ثانية قفزت فكرة الهرب ، من بين ركام من الأفكار ينتشر في ذهنه ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الى الواجهة ، استبعد الذهاب الى الممرض المساعد فهو لايعرف غير اسمه الرسمي المسجل في المستشفى ، هل سيأتي جاره؟ هل سيستلم علامة بذلك؟ ابتسم وكأنه يشفق على نفسه ، انه يفكر ألآن مثل امه ، ينتظر اشارة السماء لتفتح له الطريق ليبدأ لمّ شظايا نفسه وليجمع أيامه المتناثرة في فضاء مفكك ليصنع منها نافذة جديدة تطل على الحياة ، تناول المنشفة ، لبس على مهل ثم أعد الشاي ،

وضع في الصينية بضع قطع من بسكويت غير محلّى وقطعة جبن بيضاء وخرج الى الحديقة حيث مازال الظل كثيفا ، وعلى ألأوراق الداكنة لشجيرة البرتقال بقايا من قطرات الماء والندى تتجمع ببطئ ثم تسقط بفرح طفولي الى الأرض ، على النخلة بضعة عصافير تتطلع بأستغراب الى بلبل زاه ينفخ أوداجه مستعرضا صوته الموسيقي وهو يتقافز ، صاص عصفور صغير ولكن امه نهرته فصمت منزعجا ثم انتقل الى شجيرة البرتقال فتتابع تساقط القطرات باهتزاز الغصن ، التفت الى الشاي الذي بدأ يبرد ، سمع باب جاره يفتح ، حاول من باب التأكد ان يعرف ما اذا كان هناك من يعبث بالباب ، كان جاره يقود زوجته الى الداخل ، شعر بفرح طاغ ، لقد كانت امه دائما على حق فهاهي البشارة ، العلامات تعود الى كشف الطريق ، وألاحلام شفرة سرية وليست كما أراد فرويد ، توقف عن تناول الأفطار وانتظر أن ينتهي جارة من مساعدة زوجته ، حرك شجيرة البرتقال ورمي الرطب الذي بدا انه قد نضج

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تماما بحجر ، قال جاره

السلام عليكم دكتور ، من حسن الحظ ان أجدك في البيت قبل أن تخرج

وعليكم السلام ، لن أخرج اليوم فأنا في اجازة ، هل تستطيع ان تأتي لنشرب الشاي سوية ، مايزال ساخنا!

دقائق فقط لأعد الشاي لزوجتي فهي لاتزال ضعيفة ثم اكون عندك

بانتظارك

عليه ان يرتب افكاره ، أولا ليستمع الى تفاصيل مرض زوجته ثم يسأله عن الأوضاع في ديالى وبعد ذلك يمهد لمقصده ولكن بطريق غير مباشر فاذا وجد رغبة بالمساعدة فانه سوف يحدثه حينها عن المطلوب ، بالتأكيد الموضوع خطير فالجهات ألأمنية في دولة الخلافة شديدة القسوة واجراءاتها العقابية لا تهتم بكل الدعاوى الفارغة لحقوق الأنسان لأن حقوق الخلافة وأمنها أولا وهي لاتحتاج لأنزال العقاب بأية قضية الى محكمة وحكم لأنها تنزل العقاب مباشرة وفور القبض على المتهم أما اذا تبين لاحقا ان المتهم بريء فان النص الصريح للفتوى يغطيهم ، التروس يمكن ان يشملهم العقاب فاذا كانوا ابرياء فسيدخلون الجنة ، مع التسليم بأن قتل عدد من المسلمين معصومي الدم مفسدة كبيرة بلا شك ، إلا أن الوقوع في هذه المفسدة جائز ، بل متعين دفعاً لمفسدة أعظم وهي:

مفسدة تعطيل الجهاد ، إذ القول بعدم الجواز هنا خاصة في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصورة المعاصرة للقتال لا يعني غير تعطيل الجهاد وإيقافه ، بل وأد الجهاد وسد بابه بالكلية!.

وجد ان من الأفضل ان يترك هذه المساحة من التفكير لأنها وبحكم طرقها المقفلة لن تؤدي الا الى السقوط في متاهات العدم ، عليه ان يتشبث بالبشارة التي حصلت وان ينتظر جاره الذي سيأتي.

أفرغ ابريق الشاي في حاوية النفايات وقام باعداد ابريق جديد فطعم الشاي يتغير بعد تركه في ألأبريق ، العراقيون يملكون ذوقا متميزا في شرب الشاي ، كانوا يتناولونه بكاسات صغيرة مذهبة ويرتشفونه ببطئ ، وتعتبر لّمة العائلة بعد القيلولة على صينية الشاي من الطقوس الثابتة لدى العوائل ولكن الأنفتاح الذي حصل بعد السبعينات من القرن الماضي ودخول المصريين الى المجتمع العراقي غيّر من هذه العادة وهم الآن يتناولونه بكاسات كبيرة ورافق هذا التغير انتشار المقاهي الصغيرة في محلات بغداد العريقة والتي تقدم الشاي بكاسات صغيرة وبطعم الهيل ، لم تكن تلك المقاهي مخصصة للجلوس الطويل او للتسلية بالطاولي أو الدومينو بل كانت لشرب الشاي والتلذذ به.

جاء جاري يحمل سلة بين ذراعيه ، قال ان فيها بعض فاكهة بعقوبة ، جلس وفي عينيه كلام كثير ، قال بانه يعجز عن شكري فقد استعادت زوجته الكثير من عافيتها وكان يرغب في البقاء فترة اطول لتتماثل للشفاء تماما ولكن الأمور بدأت تسوء في ديالى ومساء امس انسحب المجاهدون من المدينة التي احتلتها قوات مشتركة من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العرب والأكراد فقررت العودة الى البيت وانتظار مايستجد من أمور ، قلت له اني لااتابع ألأحداث ولكني اشعر ان الخلافة تعاني من ضغوط كبيرة فالمجاهدون المنبثون في منعطفات الشوارع وعند مواقف الباصات وفي ألأزقة وحتى الحراس على بوّابة المستشفى يسيطر عليهم شد عصبي يبدو في حركات عيونهم غير المستقرة وفي استمرار تحرك اصابعهم على زناد الرشاشات وهم عموما يعانون من قلة النوم وان استمرار هذا الوضع سيعرضهم الى انهيارات عصبية خطرة ، فجأة التفت نحوي وهمس في أذني

ولكن ماذا يبقيك في بغداد ، البعض يقول انك أحد المقربين من الخلافة ولهذا تركت زوجتك ترحل!

حدثته بزيارة شيخ جامع الهداية وكذلك امر نقلي كمدير للمستشفى الميداني في المحمودية

قال: ولكن كيف ستذهب ، المحمودية بحكم الساقطة عسكريا بعد تراجع المجاهدين عن الحلة؟!

يبدو ان هناك الكثير مما لاأعرفه ، هل ندخل الى الدار فالشمس بدأت تطل مشاكسة

استدركت: هل تعتقد انه يمكني الوقوف على حالة زوجتك؟

قال: كنت أود ان اسألك ذلك ولكني كنت مترددا

كانت زوجته تجلس على كرسي هزاز من الخيزران تقرأ كتابا مجلدا بغلاف فاخر ، في عينيها نظرة عميقة هادئة ولكن من الواضح ان رؤيتها لي قد سببت لها استثارة لذاكرتها فقد اضطربت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثم نهضت ببطئ بسبب التعب الذي لم يفارقها تماما

لقد كلفت زوجي ان يبعث لك بشكرنا حتى قبل ان نأتي ، كانت الأجواء الجديدة ترسم امامي شكلا آخر للحياة وانا أرى أطفال العائلة يلعبون طوال النهار بفرح غامر كما ان الأدوية التي اعطيتني اياها كانت مفيدة جدا وقد قال الطبيب في المنطقة انها نادرة وغير متوفرة في الصيدليات الحكومية

اجريت لها فحصا سريعا وطلبت ان تتوقف عن اخذ الحبوب ونصحتها ان تمارس نوعا من الرياضة وان تتزاور مع الأصدقاء

قال زوجها: وأين هم الأصدقاء؟! الحي فارغ تقريبا

قلت: قوما بزيارة الأقارب في بغداد

قال: ان شاء الله

قلت له: أفضل ان تبقى مع زوجتك وان نلتقي مساء لنتداول فيما طرحته ، أما الآن فأني سأذهب الى المسجد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصل السادس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لا يوجد أحد في بغداد قد رأى أمير المؤمنين ، ألأسم المنشور هو عبد المهيمن بن عبد القهار ويسمع الناس صوته العميق والهادئ والمتوعد دائما ، ولكن لايمكن لأحد ان يدعي انه رآه ،ربما يكون رمزا أكثر منه انسانا من لحم ودم يمشي مثلنا وسيموت في يوم ما مثلنا ايضا ، جاري يقول ان العراقيين مولعون بتحطيم زعمائهم هذا اذا تعذر عليهم قتلهم ، بدأ هذا من يوم ان قال الرجل ، انه يخلع صاحبه كما يخلع خاتمه من يده ، ثم رسم سياسة عبرت سنين القحط والجفاف كلها.

أمير مؤمنين آخر حين قال لولده ، لاتناقش العراقيين في مسألة من يتولى أمرهم المهم ان تضمن انهم معك!

قال جاري هذا ونحن نشرب الشاي صباحا في حديقة منزلي وبعد ان رفعت الحجب وامتدت مساحات الرؤى المشتركة بيننا وبدأ يرسم لي طريق الهروب.

قال: هل سمعت برقية العقيد؟

قلت: لآ.

قال: امس ارسل برقية يطلب فيها من أمير المؤمنين أن لايتردد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

انصاره بسحق المعارضة ولكن الغريب ان العقيد مايزال يرفض ألأعتراف بالخلافة!

نحن في المراحل النهائية لأنجاز موضوعك ، قال جاري وهو يرتشف الشاي ببطئ همس ، سوف يكلفك ذلك الفي دولار ، قلت المهم السلامة ، قال بالتأكيد فالخطورة ستمتد الى داري ايضا! متى ستقوم بجني التمر؟! ، غمز بعينه ، اعرف انه يتمتع بقوة سمع غير عادية ،ربما كان استمرار التدريب العامل المؤثر.

في الزقاق كانت خطى عجلة لمجموعة من المجاهدين ،كانوا صامتين يتردد صدى احذيتهم الجلدية بوقع رتيب على الأسفلت فيزيد الصمت الذي يتسلل من البيوت غموضا ، كانوا منتصبي القامات وكأنهم في استعراض وبأنتظار المصور الذي سيلتقط لهم صورا تذكارية ، يمكن ان تعرفهم عوائلهم من بريق العيون الذي سيكون واضحا وساطعا في الصورة ولهذا لم يهتم اي منهم بأن يبتسم!

متى ستذهب الى المحمودية؟

غدا

وكيف ستقضي يومك؟

سأذهب لصلاة الظهر في المسجد ، فقد تعذر علي امس الذهاب واعتقد ان الشيخ قد يكون غير راض عن ذلك

كن حذرا ، الشيخ يتمتع بقوة ملاحظة و تأكد انك لن تضطر الى قول شيء قد يسجل ضدك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعلم اني بطبعي قليل الكلام
مساء سنلتقي وسأحكي لك التفاصيل

رفعت اقداح الشاي وغطاء الطاولة ، في الداخل مازالت نداوة الصباح تضفي شيئا من البهجة ، اشعة الشمس تتسلل مستغلة الفتحات الموارية فتكشف المكان وتجعل الصمت اقل كثافة ، كنت أحب الأشعة ألأولى للشمس وهي تتلألأ على صفحة دجلة ، بيتنا كان على الشاطئ وغرفتي في الطابق العلوي وأمامي دجلة ، استيقظ مبكرا لأستمتع برؤية الموجات الرقيقة وهي تلصف ضاحكة تستحم بالضوء الرخي ، كنت اشعر بسعادة غامرة ، ولكن دجلة ألأنثى اختفت وهي بعيدة عن الشمس والضوء ، في الطريق الى المسجد كان القليل من المارة ، بضع نسوة كأنهن كتل سوداء تدرج خارج الزمن وبعيدا عن القوانين التي تحكم عالم العولمة اليوم ، عدد من المجاهدين يقفون تتملكهم روح تنزع الى القسوة ، ربما يضاعف من توترهم سماع اطلاقات متفرقة بين آونة واخرى

كان الشيخ يجلس على الأرض ، تحته سجادة ايرانية بنقش يمثّل زهره حمراء ترف فوقها فراشة طغى اللون الأصفر على اجنحتها المرسومة بعناية فنان محترف أما الجسد فقد كان بنيا ، حوله كان بعض المجاهدين يجلسون واضعين اسلحتهم في احضانهم منصتين له بهدوء وبشيء من التوحّد الوجداني بعيدا عن عالم الموت والدم ورائحة الخراب وفي عيونهم كانت النظرات رقيقة وكأنهم على وشك الأنخراط بنوبة بكاء طفولي يغسل احزانهم ويمنح ارواحهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعض الصفاء ، أشار لي بهزة خفيفة ، برأسه ، ان اجلس ، كنت متضايقا فالبنطلون بدأ يضغط على فخذي وأنا لم اعتد الجلوس على الأرض ولم أجد القدرة على التركيز لأ ستيعاب مايقوله ، يمسح على لحيته ثم يبدأ الحديث ، صوته كان حادا بنبرة آمرة وهو يوجه أو يجيب على ألأسئلة ، التفت نحوي

أخ عزيز يزورنا اليوم ومجاهد من نوع آخر!

شعرت بـــالأحراج ولم افهم ما هو الهدف الذي يتجه اليه ، التفت الجميع نحوي.

قلت: أدعو الله ان يوفقني في عملي

لم يعلق على كلامي وعاد ثانية الى حديثه الذي قطعه ، كانت دقائق مضنية ، بدأت أستمع الى حديثه ، قال لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتّعون الا قليلا ، صمت وهو يتطلع في الوجوه ، ان تقتل وانت تدافع عن دين الله فأنت في الجنة وان تهزم العدو فان ماله وعرضه غنائم لك وسيجزيهم الله ذلا في الدنيا وعذابا في الآخرة ، البساطة التي يتحدث بها جعلتني اشعر بالشلل يتسرب الى اعماق روحي ، غيوم تسرع لتسد الأفق وتشوش الرؤية وتختلط ألأشياء ، كانت ايمي تقول انت حساس اكثر مما يجب ، كنت ابتسم ، وأقول لها في العراق اما ان أكون حساسا أو عديم الأحساس ، مع الصفة ألأولى اشعر اني في نفق مظلم وأنا محاصر تماما وليس غير الجنون في نهاية النفق ، ومع الصفة الثانية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أكون مهرجا أرقص أمام موكب ألأمير ، ولهذا هربت الى لندن!

قال الشيخ: نكتفي بهذا القدر ، وفقكم وايانا الله

نهض بتثاقل وأشار الي بأن اتبعه ، كانت الغرفة الصغيرة في رواق المسجد مؤثثة على نحو ينم عن تمرس في تنسيق وتنظيم قطع ألأثاث ، نسيم خفيف يدفع به مكيف للهواء في أعلى الجدار المواجه يمنح الداخل شعورا عميقا بالراحة والأسترخاء ، أغلق الباب ثم طلب مني الجلوس ، تقدم رجل ملثم يحمل صينية عليها اقداح شاي تنتشر منه رائحة النعناع ، وضع الصينيه على الطاولة وغادر دون ان يتكلم وان كنت قد لحظت انه رمقني بنظرة طويلة متفحصة ، كانت فترة صمت تطفو في الجو المفعم بعذوبة مجانية.

قال: الشاي مشروب مرطب والحر في بغداد يرفض ان يغادرنا ، كيف هي الحياة في لندن؟

شعرت انه يلف حولي ، يتحدث في اذني...كانت امي تقول لزميلتها ، لآ تدوري مثل (أبو الجنّيب) ، يتحدث ببطئ ولكن بطريقة ملتوية وموارية ولم اكن اعتقد انه بحاجة الى هذا الدوران والمناورة فالمبادرة بيده ، كان ذلك يضايقني

قلت: الجو رطب باستمرار والضباب لايفارق المدينة ولكن كل شيء يمكن التعود عليه!

ماذا قلت بالنسبة لزوجتك؟

لاشيء بانتظار ان اسمع منكم

كان لابد من المناورة ، الوقت يظل دائما عاملا حاسما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حسنا ، نحن ارسلنا الفتوى الى المحكمة الشرعية لأصدار قرار التفريق والمسألة ستحسم ربما غدا وبالطبع هذا لايؤخر قيامك بالزواج ، الرجل يمكن ان يتزوج من اكثر من امرأة وحتى في ليلة طلاقه لأمرأته ، انت تعرف هذا؟

نعم!

شعرت بدوار واجتاحت كياني ظلمة ومرت بذهني صور كل السفالات التي يمارسها ضباط الأنقلابات في دول العالم الثالث بأسم مثل ينزّ منها الدم والخراب ، لكني تماسكت فأنا أمام امتحان عسير ومن غير المسموح به الفشل على الرغم من كل الطغيان والمكر ، كيف يتصور اني استطيع التخلي عن كل ما املكه من ذكريات ومن تاريخ ومن فهم للعلاقات الأنسانية واتحول الى مجرد تابع دونما عقل!

يمكنك ان تتصفح هذا ألألبوم ففيه اكثر من مئتي صورة

كانت صورا لنساء من مختلف ألأعمار ، الوجه هو الوحيد الظاهر في الصورة ، بعضهن جميلات ولكن في عيونهن همّ وبقايا حزن يطفو في نظراتهن المنكسرة

قال: اذا ما اخترت احدى اخواتنا المسلمات يمكنك الرجوع الى الكومبيوتر للوقوف على كل التفاصيل ، العمر المستوى التعليمي حالات الزواج والطلاق السابقة ، ان وجدت ، ثم بعض المواصفات الجسمانية

فكرت ان الشيخ يجيد دور الخاطبة ومن الواضح انه قد مارسه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مرات عدة فهو يتكلم بلغة المتمرس

حين وجد اني قد اطلت التصفح في ألألبوم قال بلهجة حاول ان يحملها بعض نفاذ الصبر

هل تسمح لي بالمعاونة

أخذالألبوم من يدي وقلبه بسرعة

أعتقد ان هذه الأصلح لك

كانت امرأة في مقتبل ألأربعينات ذات وجه مدور وعينين تحملان الكثير من المراوغة وكأنها تتعمد ان لا تفصح عما يشغلها محاولة ان لاتسمح لأحد باختراق المساحات التي وضعت حولها اسوار النسيان.

تابع: هذه المسكينة لم يسعفها الحظ في حياتها تزوجت مرتين وكلاهما استشهد دفاعا عن الخلافة

واذا سأكون انا الثالث الذي ستلاحقه لعنة الموت

أستأذن أحد المجاهدين ، ناول الشيخ ورقة مطوية ووشوشه بضع كلمات ، اعتدل في جلسته وبدى عليه اهتمام قلق

سنلتقي لاحقا فهناك بعض الأمور المستعجلة التي تهم الخلافة

لم ينتظر جوابي ، فتح الورقة المطوية ، ارتجفت يده ربما غضبا وهو يبدأ القراءة.

خرجت مستشعرا الأنعتاق ، الشمس ترتفع فاتحة ذراعيها للكون الذي بدأ يستحم بدفق الضوء الباهر ، عند المدخل الرئيس كانت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بضع شجرات ورد تدور حولها فراشات ضجرة ، الورود المهملة اقرب الى ان تذبل ، وعلى شجرة سدر كبيرة كانت عصافير ثرثارة تثير فوضى وهي تتقافز دونما غاية وكأنها مخلوقات حمقاء ، أمام المسجد عدد من المسلحين ، كانوا صامتين ، بعضهم كان ضجرا وهو يجلس القرفصاء ربما من التعب الذي خلفته ليلة طويلة من الترقب!

كان جاري يجلس في الظل ، كرسيه الخشبي يصدر انينا فاجعا وهو يتحرك متطاولا ليتحقق من عودتي كلما سمع صوتا في الجوار ، الشمس عدائية والسماء بدت بعيدة وواسعة والعصافير تختبئ والخطوات المتسارعة للمجاهدين وهم يمرقون في الزقاق لها صدى مكتوم

هل عدت؟!

كان يؤكد ذلك لنفسه ، تقدم ليرفع رأسه فوق الحاجز ، في عينيه خوف جاد

لدي الكثير لأحدثك به

في صوته نبرة تحذير اقلقتني ، فكرّت ان لديه معلومات تخصني على نحو ما.

هل يمكنك ان تأتي

نعم ، زوجتي في افضل حالاتها

دخلت على عجل لأرفع بعض الوسائد التي كانت ملقاة على أرضية الصالة ، اغلق الباب خلفه بعناية وكأنه يتوقع أن نفاجئ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بشخص غير مرغوب فيه!

أرجو ألا يكون قد ورطك بالتزامات لعينة!

لا ، لقد كرر عرضه بان اتزوج من أرملة لشهيدين ، وقال بانه قد اتصل بالمحكمة الشرعية لأصدار قرار التفريق بيني وبين أيمي ولكن كل شيء قد تأجل وهذا ماكنت ارجوه لأني سأذهب غدا عند الفجر الى المستشفى في المحمودية

حسنا ولكني لاأعتقد انك ستتمكن من الذهاب!

لماذا؟

لأن المحمودية قد جرى اخلاءها وهي معرضة للسقوط في اية لحظة

كان الخبر مفاجئا ، تملكتني مشاعر متناقضة ، كان الواجب ثقيلا ولكن البعد عن بغداد وخطط الشيخ كانا الطريق الوحيد أمامي لحين التمكن من الهرب ، لم يكن من السهل ان احتفظ بتوازن ثابت وانا اشاهد ان الوضع عاد معقدا واني قد اظل في دوامة الخوف التي صنعها الشيخ

لقد وجدت هذا المنشور تحت الباب ، لابد انهم دسوا لك واحدا وقد تكون اغفلته وانت تخرج

كنا سوية في الحديقة!

وجدته بعد ذهابك

كان المنشور من نوع الورقة السمراء التي اعطيت للشيخ ، بيان من الجبهة العراقية الموحدة موقع من اربعين حزبا ومنظمة ، كان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البيان يتحدث اولا عن الطغيان والمظالم التي ترتكبها سلطات الخلافة ويشكك بكون أمير المؤمنين عراقيا ثم يشير الى الأنتصارات التي حققتها قوات التحرير التابعة للجبهة وأخيرا يطلب من أهالي بغداد الأنتفاض ضد السلطات الدكتاتورية ويعدهم بأن الفجر قادم ، لحظ ان الأحزاب تشمل رقعة واسعة من مكونات الشعب العراقي وان بين الموقعين خمس نساء

قال الجار: كان أبي الذي تسكنه مرارة يضحك حينما يقرأ عن الجبهة الوطنية

قال له: ولكن يظل التوافق هو اساس الأستمرار بالمشاركة

قال الجار: المصالح هي الأرضية المشتركة ، هل تعتقد انهم حددوا مصالحهم؟

قلت: من؟!

الجبهة الموحدة

ربما ، الطيور المهاجرة يقودها طائر متفرد ولكن العصافير تتسابق بكل الأتجاهات!!

ولكن هل عرفت من هي التي عرض عليك الشيخ الزواج منها؟

لا ، كانت فتاة حنطية لم ارتح لنظراتها التي كانت تتدفق عبر فضاء الصورة باشتهاء مفضوح!

انها أخت الشيخ ، تزوجت جندي قتل في معركة الفاو وبعد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اعلان الخلافة زوّجها من أحد المجاهدين ولكنه أصر على الأشتراك في معركة الموصل وقتل ، كان يعرف انه سيقتل وربما وجد في الموت الطريق الوحيد للتخلص منها!

توقفت المروحة الصغيرة المثبتة على طاولة الطعام وسمع (الثلاجة) ترتج وهي تتوقف وكأنها تعلن احتجاجا على انقطاع التيار الكهربائي وفي الخارج بدأت تسمع رشقات متقطعة من رصاص يطلق في مكان ما وصمتت العصافير التي كانت تحتل النخلة وران عليها قنوط مشوب بخوف طاغ وصرخ طفل محتجا على هذا السكون المفاجئ وهو يصر على الخروج لشراء الشوكلاتة من دكان ام وليد الذي افتتحته الأسبوع الماضي وجعلت من شباك غرفة الجلوس المدخل للتعامل مع الزبائن ، ولكن امه كانت تحاول ان تثنيه عن ذلك ، قال رجل لزميله عبر السياج وهما يسرعان ، هذا زمن ينجو فيه من يختبئ! قال زميله ، المهم ان نصل الى البيت!

لن تذهب الى المحمودية كما ان خططنا تعد لاغية بحكم تطور الأوضاع ، اعتقد ان من ألأفضل ألأنتظار!

نعم ، يبدو لي ذلك

ألأوضاع غير مستقرة وربما تقع الكثير من المفاجئات

كل شيء وارد

نادت زوجة جاره من خلف السياج بصوت واهن

تعال فالمذياع سيقدم كلمة مهمة لأمير المؤمنين ويبدو ان الأمور تزداد تعقيدا!

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حسنا سنستمع اليها هنا ، هل تحتاجين شيئا آخر؟

لا

كان صوتها مستاء

كنت أمس في الباب الشرقي ، عدت بالباص كالعادة ، كان هناك رجل يحدث نفسه ، قال ، بان على الجميع ان يحمدوا الله على حكومة الخلافة التي وفرت لهم الأمان ، قد يكون الثمن عاليا ولكنه وفق النسبية في القياس لايبدو كذلك ، انت تستطيع ان تنام في الساعة التاسعة وأن لاتسمع هياج الأطفال الذين يخلدون للنوم منذ الثامنة ، وكذلك لا يشغلك امر ان تتعرض للتسليب حينما يكون الجميع في قيلولة وانت وحيد في الشارع والشمس قد حققت قفزتها الكبرى لتصبح في منتصف سماء تبدو متناهية في البعد ، بالمناسبة ، لماذا تبدو السماء في الربيع قريبة منا وكأنها خيمة زاهية الزرقة تهبط نهاياتها باحكام على الكون في حين تبدو باهتة وقاسية ومتباعدة في الصيف؟.

أجابه رجل كان يضحك ، لأن الجو في الربيع يرشح بالندى والنسيم يبعث على الأسترخاء أما في الصيف فأن كل شيء متوتر وعلى وشك الأنفجار!

ضرب عصفور يتعلم الطيران الزجاجة ألأمامية للباص فتوقف السائق ليمسح الدم وهو يدمدم ، لن يكون هذا فألا حسنا ، لا اله الا الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صمت برهة ثم التفت نحوي: هل تعتقد ان أمير المؤمنين أفضل من المالكي؟

لا أعرف ، ولكني متأكد ان الثمن باهض جدا فألأمان وحده لايكفي

قال المذيع: اليكم الأمر رقم ٣٥٠ الصادر عن مكتب أمير المؤمنين للشؤون ألأمنية.

كان الأمر يلغي الأمر السابق ببدء الدراسة في الجامعات في منتصف سبتمبر ويعلق الدوام حتى اشعار آخر محتجا بالأوضاع السياسية

أنصتنا الى كلمة امير المؤمنين بعناية ، كانت مقتضبة ، تدعو الى الصمود بوجه ألأعداء الذين عدّدهم بقائمة طويلة بعد ان وضعهم بمجموعتين الأولى الكفرة والثانية المرتدين

ذهب جاري بعد ان وعدني انه سيفاتح قريبه الضابط ، لم احتج محذرا فهو يدرك مدى خطورة الموضوع

بغداد صامتة والمساء الذي بدأ يوشحّ المدينة ، ينشر ظلالا كثيفة تتسلل مخاتلة الى البيوت فتحيل الدكنة الثقيلة حزنا يطفو على الوجوه المستسلمة لهمها اليومي بامتداده اللانهائي ، أزّت فراشة ضالة وهي تصطدم بزجاج الشباك ، فتحته لها فدخلت فرحة واستقرت فوق صورة (ايمي وحكمت) الموضوعة بأطار فضي على الثلاجة المتوقفة ، ضمّت جناحيها الى بعضهما وربما قررت ان تغفو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعد ان أحست بالأطمئنان وبتعذر الطيران بسبب الظلمة ، اختلطت الوانها لتصبح مساحة صغيرة يبتلعها الليل ، قالت أمي ، الوحدة هي الأحساس بالضياع وليس كونك بدون صحبة ، كنت سعيدة وانا اتمدد تحت اللحاف في ليالي الشتاء الباردة واحلم قبل ان اغمض عيني باستسلام مطلق لحلم اليقظة.

ربما تحلم الفراشة بحقول ملونة تنشر عطرا وبفجر بنفسجي يمسح الندى العالق بازهار نظرة ويتمدد بتثاقل فوق أسطح البيوت ، كنا نجمع الفراشات الرقيقة التي تستشهد بأيدينا برقة وكأنها تستعذب الموت الصبياني ، ثم نضعها على ورقة بيضاء مثبتة بدبابيس صغيرة وكان معلم الرسم وألأعمال يعلقها على لوحة الأعلانات في الصف ومع رنين الجرس ، مؤذنا بالفرصة ، ننساها ونحن نتراكض الى (كانتين) المدرسة أو الى الساحة لنتصارع بعنف مثيرين ضجة وصخبا.

المذياع صامت وما يذاع عن بغداد شحيح ، جرّبت ان التقط الأذاعات المختلفة بالعربية أو بالأنكليزية ، ولكن ليس غير الصمت الذي يعبرون به بغداد وهم يتناولون العالم ، مراسلو الصحف ووكالات الأنباء ممنوعون وحتى القناة الفضائية التي كانت تبشر بالخلافة أغتيل مراسلها وقيد الحادث ضد مجهول ، نحن نغرق بسكون حد الهمس المرتجف ولاتعبر ليل بغداد أطياف المسرّات ، والسماء تتباعد وكأنها تنأى عنّا والشياطين الوحيدة التي كانت في كل مكان.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الشيخ اذا لم تشاهد النجوم وهي ترجم الشياطين التي تحاول ان تعرج الى السماء فهذا دليل قطعي على ان الشياطين مشغولة بالناس و بالأرض وعليك أن تقول ، لااله الا الله ، ثلاثين مرة.

ماذا تفعل ايمي ألان؟ مشغولة بمتابعة بحثها! أم نائمة.

في دبي يظل مكيف الهواء يعمل طوال الليل وفي بغداد نسي الناس ان آباءهم كانوا يفعلون نفس الشيء!

الشيخ يتفنن في ايجاد المقولات التي تلعن الترف وفي كل مكان الدعوة قائمة للقناعة والرضى ، كان يعرف ان هذا ثرثرة فارغة لأن الشيخ لايسمح بأن يتعطل مكيف الهواء الياباني في غرفة نوم زوجته الصغيرة وان أمير المؤمنين الذي لم يره أحد لا يستعمل الا سيارة ليموزين امريكية أما الحماية فهم في سيارات مرسيدس سوداء ، قال جاره ، السيارات السوداء تدخل الرهبة في القلوب ، قالت ايمي ، الشياطين لديكم ذات مواصفات خاصة ، عندنا ربما اكثر مكرا ولكنها ليست بنفس القسوة وحتى انها ، احيانا ، تتغاضى... ولهذا فهي اكثر استقرارا وتجد اوقات فراغ كافية لتلهو في الحقول ، الصحارى لديكم قد تبعث فيها الضيق ، ضحكت وتابعت ، رغم اني لم اذهب للكنيسة منذ كنت طفلة الا ان تجاربي في انكلترا ودبي والعراق جعلتني اعتقد ان الشياطين في الغرب تكون في اجازة يوم الأحد ولهذا تتصاعد دعوات التسامح والحب وتبدو الناس بشوشة في عيونهم فرح وامل أما في بلادكم فانها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تنشط عادة يوم الجمعة ولهذا فان عوامل التفريق تزداد ودعوات الثأر ترتفع بقوة ويصبح من السهل تجنيد الصغار للقيام بأعمال القتل عبر التفجير ، غمزت بتخابث ، شعرت بشيئ من الأنزعاج وقلت بلهجة لاتخلو من الضيق ، تذكري محاكم التفتيش ، نحن الآن في مرحلة القرون الوسطى ، انتظري حتى نجتازها وسترين ان الشياطين ستغير سلوكها في بلادنا ايضا!

في السماء اختفت النجوم كلية ، وكان قمر باهتا وحزينا يتعلق وحيدا في الجانب الغربي تتقدمه غلالة مكفهرة من الغبار ، غاب القمر مرة واحدة وكأنه ملّ أو انتحر فقد اصطبغت السماء البعيدة في الجانب الذي كان يقف فيه بحمرة قانية ، ربما اكلته الحوتة التي كنا ونحن صغار نصرخ ونحن ندق على الصفيح الفارغ (ياحوته يامنحوتة هدّي قمرنا العالي) ، أمي تقول لقد تكررت علامات السماء ، العياذ بالله ثم تصلي ركعتين ، اللهم انقذنا من شرور انفسنا ، ارتفع أذان متقطع من المساجد في المنطقة ، كانت الكهرباء غير منتظمة وبدا الأمر كأنه نواح يستبق المأساة ليعلن عنها!

شعرت ان رأسي ثقيل ، وفي عيني يذوب ملح يحرق اجفاني ، تمددت على السرير ، عادت الوجوه المتسارعة تطل علي بشماتة ربما اغرق الان بظلمات شيطانية فقد كانت العيون تلمع بصلف والأفواه تهذي بكلام غير مفهوم وحرارة تندفع من اعماق الظلمة ، ربما هي حرارة الدماء المجانية في كل مكان ، تتجمع في ألأسفل ، لم يبق من حلم يمكن ان يمنحني مساحة ولو ضيّقة من أمل الخلاص الا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشمس ، هل ستشرق ثانية؟!

كان طرق يدق في نافوخي وصوت متلهف في نبرته حرقة يصرخ باسمي ، تصورت اني مدعو لأجيب مسؤولي التحقيق في ظلام القبر كما قال الشيخ ، فتحت عيني على آخرهما برغبة شديدة ان أراهما ، كان صوت جاري ملتاعا ، ربما فكر اني قد متّ وحيدا!

فتحت الباب

أين انت يادكتور ، العالم يغلي وانت نائم ، لقد داخلتني الوساوس ، اعوذ بالله ، ماذا حصل؟

لاشيء ، لم أستطع النوم الا عند الفجر.

أمير المؤمنين سيظهر على التلفاز بعد حوالي العشر دقائق ، الأمور تتطور بسرعة ، لقد عزلت بغداد تماما ، فمن حي الدورة جنوبا الى التاجي شمالا القوات المهاجمة تتقدم باحكام

ولكن علي ان أذهب الى المستشفى!

لقد أعلن منع صارم للتجوال فخلّي عنك فكرة الخروج! هل تفضل ان تفطر معي؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفصل السابع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تأكدوا ايها ألأخوة المجاهدون بأن الله لن يتخلى عنا.

كان أمير المؤمنين يتحدث في التلفاز ، ولأنه يظهر لأول مرة فأن ألأمر يبدو بالغ الخطورة ،كانت الشوارع قد خلت حتى من العدد القليل الذي كان قد بقي ممن يمتلك رغبة في الخروج ، والذي لاشك فيه ، ان الجميع ألآن أمام أجهزة التلفاز يتملكهم فضول يلح عليهم مثل (ألأكلان) الذي تتسبب به لسعة حشرة برية ، كانت امي تقول انه للتخلص من هذا ألأكلان لابد من غسل الموضع بماء جار ثلاث مرات مع تكرار البسملة ، ولكن الفضول هذه المرة ينتشر في انحاء الجسد كافة حتى ان البعضقدأحس بأن قلبه يخفق اسرع من المعتاد فيما شعر آخرون ببرودة تتسلل الى ارجلهم على الرغم من انقطاع الكهرباء وموجة الحر وتوقف تيارات الهوء. كان الجميع (وهذا ما أظنه) مدهوشين وهم يتطلعون الى الحاكم المطلق في دولة الخلافة ، كان سافر الوجه ويبدو انه لم يتجاوز ألأربعين بعد وقد يفسر هذا روح المغامرة والحلول القاطعة التي تصدر بأوامر يومية كقوانين لمواجهة المستجدات ، في عينيه الواسعتين قسوة صارخة وعلى الرغم من تكراره التمثل بآيات من القرآن الكريم فأن حدة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القسوة لم تكن تتأثر وكأنه كان منشغلا بامر آخر بعيد جدا عما يقوله ، كان أبي يردد:أن الخشوع من علامات المؤمن ، ولكن أمير المؤمنين لم يكن خاشعا ففي نظراته كمية كبيرة من الحقد ، كانت لحيته مشذبة بعناية بحيث بدت شعيراتها السوداء مرصوفة الى بعضها ، شاربه الصغير كان منفصلا عن اللحية يقف فوق فمه وكأنه قد ركّبه للتو ،شفته العليا الرقيقة والرفيعة والمتجهة قليلا الى الداخل تنبئ عن لؤم وطبيعة غادرة لايقف امامها شيء.

تابع: ان الله الذي نصرنا هو الذي سيحمينا.

كانت ايمي تقول ، الجميع يدعي الأستعانه بالله وكأنه على صلة قرابة به! انت تعلم ان الله لم ينجب الا ولدا واحدا! حينما اعترضت قالت ضاحكة ، لاتتحمس أنا ايضا يصعب عليّ تصديق هذا ولكني استشهد فقط.

قال جاري ، هل أنت معي في انّا تعبنا!

قال أمير المؤمنين ، لقد استمتع العراقيون طيلة المدة المنصرمة بأمان واستقرار وعلى الجميع ان يشكر الله على هذه النعمة وان يعمل على نصر الخلافة والأسراع بحمل السلاح مع المجاهدين لأن الدولة مهددة من اعدائها من الكفرة والمرتدين الذين يسعون الى اعادة الفوضى والعودة ثانية الى عمليات السطو على اموال المسلمين والسير بركاب الصليبيين... الذين آمنوايقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لم يعلق جاري ، ناولني قدح الشاي وهو صامت ، كان قد نزع اللثام عن وجهه ، انفه الدقيق أكلت (حبة بغداد) جزءا من أرنبته اليسرى ، قالت زوجته التي كانت تقرأ في كتاب لم يظهر عنوانه اذ كان مغلفا بعناية بقطعة من الورق الأسمر ، هراء! التاريخ لايبنى على هذا النحو ، قال زوجها لو ندع التاريخ في راحة فقد تعب من حماقاتنا ومن هذا الغباء المستشري كسرطان متسارع.

بضع طلقات مرقت في كثافة الصمت ثم ماتت هي الأخرى بهدوء مثير للقلق ، كانت ايمي تنقطع الى المختبر او الى جهاز الكومبيوتر حينما يصبح اي تعليق لايتفق والسياق المثير للأحداث ن وحينما يقول المعلق وهو يقدم ضيفه: المحلل الأستراتيجي والمختص بشؤون الجماعات الأرهابية ،تعترض ايمي ، أرجو ان تغير المحطة فسيرقصون على موسيقى من موجات الأربعينات من القرن الماضي!

قال جاري ، لقد انقلب كل شيء رأسا على عقب ، أنت لن تذهب الى المحمودية ولن تهرب الى انكلترا وانا لن اخرج الى شارع المتنبئ ولن اتابع القراءة ، تصور انها المتعة الوحيدة لي في الحياة الآن! على الرغم من ان الكتب التي افضلها نادرة واقتناؤها يحمل الكثير من المخاطرة.

لم اكن قد تحدثت مع جاري بألأمور الشخصية فقد كانت تأخذنا دوامة الأحاديث التي يفرضها زمن تفكك الوعي وثقافة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اللثام والبندقية ورائحة الدم

كنت تستمع الى مقاطع من باليه لشوبان ، هل افهم انك تركت الموسيقى؟

لا ، هل تعتقد ان الزمن يسمح بالموسيقى ، كنت ومنذ دراستي الأبتدائية بمدرسة راهبات الوردية من المتفوقين بالعزف على البيانو ، كان لدينا واحدا اشتراه ابي من مزاد علني في الأعظمية ، في ١٩٦٠ ، كان الجهاز بخشبه المهاكوني يبعث في نفسي نشوة ، لم تتوفر لي الفرصة لدراسة الموسيقى فقد انهيت الدراسة في كلية القانون وفي عام ١٩٩٣ عينت نائبا للمدعي العام في محكمة العزيزية ، هناك العمل محدود والمدينة قرية كبيرة ولايوجد غير ناد الموظفين حيث تقدم البيرة المدفونة في كميات كبير من الثلج والتي لاأميل اليها كثيرا ،عدت للتفكير بالموسيقى ، انتسبت الى اكاديمية الفنون الجميلة ببغداد ، هكذا فانا احمل شهادتين في القانون! واحدة في القانون النهاري والثانية في القانون الليلي!

اضحك للتورية الطريفة.

قالت زوجته: لقد كان يملأ البيت ضجة بحجة التحضير للأمتحانات وكنت اجد ذلك عبثا صبيانيا ، لماذا لم يواصل دراسته في القانون؟!

قال مازحا: لأن دولة الخلافة الغت القانون ، واعدك بأني سأواصل الدراسة فمازلت شابا!ولكن لاتنسي بأن الموسيقى هي التي علمتني كيف أحبك!

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تـورّدت وجنتاها وانبعـث مـن عينيهـا بريـق مـشع ببهجـة طارئـة وقالت

سأعد لكما القهوة

الـشمس هـي الوحيـدة الـتي ترحـل لـيلا لتعـاود التـسلق منـذ الـصباح البـاكر علـى اسـطح المنـازل ، تقفـز الى اعلـى مثـل ضـفدع يطارد زميلته على امتداد نهر ضحل أما المجاهدون فهم في أماكنهم عند تقاطع الطرق وفوق اسطح المنازل التى تركها شاغلوها وعلى امتداد الشوارع الواسعة والخالية من السيارات والتي تخترق المدينة تتشهى اقدام الصبيان وهم يعودون من المدارس يغمرهم فرح نزق أو اقدام عاشقين يمسونها برفق وهمـا يتناجيـان يـضج همسهمابنـسيم المشاعر الرقيقة.

خرج الى الزقاق الذي بدأ يستحم بشمس أيلول الرخية

قال رجل خرج من داره: صباح الخير دكتور

انـه اذا شـخص معـروف ، لايعـرف الرجـل الـذي بـادره بتحيـة والذي حمّل صوته لهجة احترام عميق

صباح الخير

لاحظ ان الرجل لايضع لثاما ، بدا ألأمـر مـستغربا ، قالـت امـرأة تقف عند الباب

لاتنسى الزيت!

كانت حاسرة الرأس ، ماذا يحدث! كـان الجميع متواطئين على قبول كل الحماقات التي تمارسها سطوة أمير المؤمنين كرر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ماذا يحدث؟!.

تـذكر سـليمان الخزاعـي ، لمـاذا يـصر العراقيـون علـى المـوت في الزمن الغلط

عاد الى البيت ، ادار مؤشر المذياع نحو البي بي سي ، قال المذيع في موجز قصير

الأوضاع في بغداد قد تنذر باحداث مأساوية بعد ان حوصرت مـن كافـة الجوانـب والقـوات المهاجمـة لاتواجـه مقاومـة عنيفـة ، الأشكالية ذاتها التي لايجد تفسيرا لها ، سقوط ألأنظمة بسرعة اقرب الى التهافت ، النظام الملكي ، جمهورية عبد الكريم قاسم ، سقوط البعثيين عام ٦٣ ثم سقوطهم المدوي عام ٢٠٠٣ ، ثم سقوط جموهورية الديمقراطية المروع مع انسحاب آخر دبابة اجنبية ، واليوم الخلافة التي احتلت بغداد بمظاهر مسلحة بدا انها لن تقهر ، تتآكل ببطئ وتذوب جماهيرها التي كانت تحتل الشوارع وتفرض فوهات بنادقها احكام الوشاح على بغداد لتتحجب ولتودع كل الرؤى التي كانت تراودها لتعود الى زمن الزهو وعنفوان المعرفة وصراع ألأفكار والنظريات ، زمن الجاحظ وأبي نؤاس ، والمعتزلة ومدارس اللغة والفقه ، لماذا تتماثل النهايات ولايجد الحاكم من يدافع عنه ولو لبضعة أيام؟! حارب العرب بعضهم اربعين سنة من اجل سباق خيل!

قال مذيع (بغداد الحرة) ان قواتنا تتقدم من الجنوب وهي الآن على مشارف الجادرية ، كما افادنا مراسلنا من الجبهة الشمالية ان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قواتنا قد عبرت نهر دجلة عند الأسحاقي ، ونحن بانتظار آخر ألأخبار عن الجبهة الغربية

بدأ اطلاق نار متقطع تلاه عدة انفجارات مدوية

قال مذيع الخلافة الأسلامية محذرا من الأستماع الى اذاعة ألأعداء ومؤكدا ان الأخوة المجاهدين يتصدون بكل بسالة لمحاولات التحرش بحدودنا ويكبدون العدو الغادر خسائر كبيرة

ثانية خرجت الى الزقاق ، بضعة اطفال يلعبون ويتعالى ضجيجهم ، أشم رائحة الحياة تنتشر في الفضاء وتعرش فوق اسطح المنازل ، بدت الوجوه التي تتطلع عبر الشبابيك أو عند ألأبواب انسانية في مظهرها ، ألآن ارى الوجوه بكامل ملامحها يسود عليها انطباع الترقب المتفائل ولكن الحذر ، المجاهدون الذين يعبرون الزقاق كانوا مهمومين ولكن نظراتهم تعبر عن لامبالاة وكأنهم غير معنيين بما سيقع ، شعرت ان تناقضا حادا يبدو في حالة نادرة من التوافق وليس من السهل ايجاد التفسير الملائم بالنسبة لي على الأقل وربما ألأمر يحتاج الى عالم اجتماع على دراية عالية ليس بنمو وتشابك العلاقات الأجتماعية في زمن ما وانما بمظاهرها المتشابهة عبر حركة التاريخ ، كان قد حصل الأمر على ذات النسق ، الدولة المتسلطة والتي كانت تتحكم بكل شيء حتى ليظن انها لايمكن ان تسقط الا بزلزال مدو ، سقطت خلال ايام وبصمت ، تلاشى الجيش وكل الأجهزة التي بنتها الدولة عبر سنوات طويلة ، وذابت كميات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السلاح الهائلة ولم يدافع احد عن القيادة التي كان مصيرها مأساويا! واليوم اين هي القيادة؟ اين أمير المؤمنين؟ هل اختفى الجميع كأشباح شياطين تلاحقها لعنة ابدية!

لم يعترض المجاهدون على عمليات(فكّ) اللثام ، نظروا الى الرجال بوجوههم التي بدأت مسامها تتفتح للنور وللهواء وهزوا رؤوسهم بصمت حزين ، كل شيء كان محرما ولكن (التحليل) لم يأت عبر فتوى، كان تلقائيا وعفويا ، بعض الرجال ظلوا يربطون اللثام لأن الخوف يلصق بالقلوب الضعيفة كالعليق!

قال جاري: مالايبنى بالأقتناع فألى زوال

كنت مشغولا بالتفكير ، هل ستعود بغداد كما عرفتها وانا طالب في كلية الطب ، كان ذلك في عام ١٩٨٩، عاد الأمل يطفو فوق ضفاف دجلة وبدأت الحياة تتفتح من جديد ، قريب لي كان قد استقال من عمله في منشأة حكومية ليعمل على تأسيس مصنع صغير لأنتاج عدد ولوحة مفاتيح كهربائية ، كان يحلم ، يضع على الورق مسارا ناجحا لنمو المصنع وآفاق العمل الذي ينتظره وكان يحب ايضا!.

حين نلتقي مساء في كازينو على دجلة كان يتطلع الى المياه المنسابة برقة ويكتسب صوته شاعرية رقيقة وتنحو كلماته ان تكون عطرا رقيقا ينتشر موحيا بعذوبة مدهشة ، قلت له اذا كان الحب يحول المهندس الى شاعر فماذا سيفعله بالطبيب؟ يضحك ويقول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أبو نؤاس! فاعترض ، يرد انت سألت ، اذا كنت تعتقد بغير ذلك فأنشدنا ثلاث ابيات غزلية ، ياضفاف النيل بالله ويا خضر الروابي ، هل رأيتنّ على النهر فتى غضّ ألأهاب ، أسمر الجبهة كالخمرة في النور المذاب.

يضحك بصوت ضاج بالمرح ويقول لن تتخلص من أبي نؤاس؟

بعد حرب الخليج الثانية عادت الكويت الى اهلها ولكنه لم يعد يطوي جوانحه على حلمه الصغير ورحل عنا ولهذا لم اشعر بالشوق الى ابي نؤاس وانا أعود ثم اكتشفت ان ابانؤاس رحل هو ألآخر بعد سقوط النظام وقرر الا يعود الى بغداد بعد ان تم اجبار(الأنثى) دجلة على ارتداء الحجاب

قال جاري: هل ترافقني الى الشارع العام؟

قلت: ألا ترى ان الأمر لايخلو من خطورة؟

لازال الضحى يقف مترددا وهو يشهد الشمس تصعد حادة وبضع غيمات بيضاء تحاول ان تعيقها فيما نسيم لطيف يمر عبر الزقاق فتنتشر رائحة عطرة من شجيرات الورد المنتشرة بامتداد أسيجة البيوت وكأنها من عصر آخر مايزال يحتفظ برائحته الخاصة ليغطي رائحة الدم والخراب.

بدا لي الوضع كله غير مفهوم والتغير الذي يحصل سريعا ويحمل تحديا يناقض كل مظاهر الأستسلام والتخاذل التي كانت ترتسم في العيون التي كنت اراها في الطريق أو في الباص وفي المستشفى.

كلمة واحدة تحمل التحدي ربما قيلت في مكان منعزل (لا) قالها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شخص ما مات الخوف في قلبه تحت ركام الذل والأضطهاد والتهميش وملّ التسكع على ارصفة منسية تحت مظلة القسوة المفرطة ، رددها شخص آخر ثم اتسعت الدائرة تماما كدوائر الماء في دجلة حينما كنا نرمي فيها الحصى ونحن نتسابق ، من يتمكن من صنع دوائر أكبر؟.

المقهى على الناصية يتجمع فيه رجال لاأعرفهم وعلى كرسي عند الباب جلس احد المجاهدين واضعا بندقيته في حظنه وأمامه قدح الشاي لم يشرب منه شيئا فيما لم يعره الجالسون اي اهتمام ، كان الجميع قد تخلوا عن اللثام وبدا المجاهد عند الباب كأنه شخص يحاول ان يتخفى ، التلفاز يعرض فيلما مصريا قديما والرواد صامتون.

قال جاري: الفيلم مسجل على شريط فيديو

لم اعلق ، كنت افكر بالمشهد الذي أراه وأحاول ان أجد تفسيرا منطقيا لمايجري وللتحول في مواقف الناس ، انه اشبه بحكاية من مخيلة مجنونة ولكنها قادرة على الفعل ، الناس الذين كانوا يخشون البوح بكلمة قد تفسر بما لايتفق وتوجهات النظام يعلنون اليوم رفضهم للنظام كله هكذا دونما مقدمات!

فجأة ارتفع صوت التكبير من المساجد كلها ، كان ذلك يحدث عند الرغبة باعلان النفير أو ألأستعداد لمواجهة العدو ، فسر لي جاري ذلك وكنا مانزال بعد لم يأتنا طلب الشاي.

بحركة لاارادية اعاد بعض الجالسين اللثام واغلق صاحب المقهى جهاز الفيديو وفتح المذياع على اذاعة الخلافة الأسلامية ، من بعيد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بدأنا نسمع اصوات انفجارات متتابعة ومن ثم انهمر سيل من الرصاص من اسطح المنازل ومن منعطفات الشوارع.

اختفت الشمس ، كانت غيمة بيضاء كبيرة تتمدد في السماء التي تراجعت متباعدة واصبح الفضاء لانهائيا و يوحي بالفراغ الذي يسكنه خواء موحش ، صمت كل شيء وكأن العالم يلتقط انفاسه بانتظار ان ترمي المجرات البعيدة والغامضة هي الأخرى بعصاها السحرية ، دخل رجل بلا كوفية شعر رأسه يقف كأنه مبعوث الشيطان الى بغداد ، كان يرتدي ثوبا طويلا لونه كلون الكحل ويرفع ذراعيه.

صرخ بصوت مجنون: لقد سرقوا الشمس والصحراء تعبر دجلة والبحر سيغلي ، انه الطوفان الذي يقاتل الصحراء وانتم هنا متحجرون تمضغون التفاهة.

قال جاري: الرجل مجنون!

قال المجاهد الجالس عند الباب: لا ، انه جاسوس!

صوب بندقيته للرجل الذي وقف ينتظر وقد اتسعت حدقتا عينيه على وجه بالغ الغرابة وبدا كأن به مس من الجن ، لم يكن خائفا ولكن غضب جامح قلّص عضلات وجهه ، في الخارج كان وجوما ثقيلا يسيطر على الكون ولم تكن تسمع اية حركة تنبئ بان الحياة لازالت في تفاعلها العملي بأشكاله المتباينة ، في المقهى ساد صمت ثقيل ، شعرت ان امرا جللا غير عادي سيقع واننا ننحدر الى اعماق هاوية سحيقة مسكونة بالجن والشياطين ، كان جاري

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يحدق مأخوذا وفي وسط المقهى توقف الصبي الذي يوزع الشاي مشلولا وهو يفتح فمه ببلاهة.

انطلقت ثلاث رصاصات بتتابع سريع من البندقية المصوبة نحو الرجل وشهق الجميع ولكن الرجل تلاشى ، تجمدت يد المجاهد وصعق الحضور ، مرت لحظات وكأننا نتعرض لعملية خداع بصري.

قال رجل: أعوذ بكلمات الله التامّات من فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق.

صاح من آخر المقهى شخص وهو يرفع يديه: لنصلي جميعا ركعتين ، قال الرجل الذي تلا الدعاء وهو يمسح على لحيته.

لن استطيع!

قال جاري بصوت مسموع: هل الشيخ على جنابة؟!

ضج المقهى بضحكات قطعت تتابع المأساة.

في الخارج بدأت غيوم كثيفة داكنة تنشر عتمة موحشة تتقدمها موجة حر ، ران صمت عميق وظل صوت النار في الموقد هو الوحيد الذي يسمع صفيرا خافتا وكأنه نذير شؤم للحظات انهيار الأزمنه وتوقف التاريخ على حافة التداعي الذي يصنعه الأصرار على الأحتكام الى ماوراء الزمن لأنعدام الرؤية

قال جاري: لنعد الى البيت

لم أعلق على طلبه ولكني نهضت متجها نحو الباب ، هبت ريح جافة تنفخ في الوجوه حرارة كأنها لفح الشيطان ، ازداد ضغط

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصمت حتى بدا كأنه سينفجر في أية لحظة اعصارا يكتسح كل مظاهر الوجود ، خلت الأزقة من الأطفال وبدت المدينة كأن أهلها قد هجروها وان اشباحا تتربص عند المنعطفات.

ودعت جاري عند باب البيت ودخلت ، كانت الفراشة التي تركتها في فضاء المطبخ تدور وتصطدم بزجاج الشباك وتكرر المحاولة وكأنها مجنونة بالرغبة في الخروج ، حينما شعرت بوجودي هدأت بعض الشيء ثم أخذت ترف بجناحيها حولي ، كانت تدعوني ان افتح لها الباب ، فتحت الشباك فخرجت مسرعة الى الحديقة ولكن عصفورا خائف كان يختبئ في شجيرة البرتقال انقض عليها ، الجوع يقتل الخوف ، فكرت بذلك وانا اصعد الى غرفة النوم.

الطقس يبعث على الضيق ومايزيد الأمر سوءا توقف التيار الكهربائي الشحيح كلية عن العمل فلا ماء يمكن ان يساعد على قتل العطش ولا مروحة يمكن ان تحرك الهواء الراكد ولا نور يساعد على تبديد الظلمة التي تتكاثف في الغرفة فتضغط مسببة شعورا بالوحشة التي تتراقص في ظلالها شياطين مصابة بالجنون تملأ المكان بفحيح صامت يسد منافذ التنفس.

توقفت عند باب جاري سيارة ، من يغامر بالخروج! ربما هو قريبه الضابط في قوات المجاهدين ، ماذا لديه؟ لابد انه يعرف الكثير وهو دائما على استعداد لأن يتحدث ، لم افكر انه ثرثار ولكني فسرت رغبته تلك بحالة الصمت والخوف التي يعيشها ولهذا فهو ما ان يجد شخصا يثق به فأنه يفضفض في الحديث ، انها رغبة النسوة نفسها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من ربات البيوت اللائي يتحدثن بكل شيء ، هروبا من الجو الخانق في الغرفة نزلت الى الحديقة ، على المتبقي من طبقة (الثيل) الذي كنت حريصا على ان ارشه بالماء كل صباح ، كمية من التمر الناضج ربما أجبرته موجة الحر على التساقط ، بدأت اجمع التمر بسلة ممتلئة بثقوب تسمح للماء بالترشح عند غسل التمر ، كنت دائما اعشق التمر وأيمي تعرف هذا وكانت تحرص على ان تضع على المائدة صحنا من الكرستال مليئا بالتمر ، كان هذا في ايام العطل الأسبوعية حيث نتواجد سوية لتناول الطعام ، حكمت ينظر الى التمر الذي كان بلون العقيق ويرفع حباته لينظر اليها مليا ثم يتناولها بلذة ، تقول ايمي معلقة ، كما يكون الأب يكون الأبن!

صوت جاري يناديني من السياج المشترك ، عدت الى المطبخ لأرتدي قميصا قطنيا وأتحول نحوه ، كان قريبه مهموما وبدا كأنه قد شاخ ، هو مرهق ولحيته تتخللها شعيرات بيضاء وفي عينيه همّ ينوء به ، هل مل ّ أن يكون الشريك في هذه المتاهة التي لا تملك حتى مخيلة مجنونة ان تضع نهاية لها ، اية نهاية فقط توقف استمرارها على هذا النحو.

قال: دكتور ، لقد شغلني امرك كثيرا

صمت وهو يتطلع نحوي بتعاطف ولكن بدا لي مترددا وشعرت انه يعاني من حالة يأس ممض

قال جاري: ارجو ان تستمع جيدا ولا تقاطعه ، لقد بحثنا ألأمر من كل الوجوه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال القريب: تعرف ان الوضع بالغ التعقيد ونحن نتوقع اجتياحا باية لحظة لآخر مواقعنا ولا اتحدث بسر ان قلت اننا لن نتمكن من ايقافهم ولكن ماسيقع سيكون كارثيا بكل المقاييس ، ربما ستمحى احياء كاملة ، فكرت بك فأنت على درجة عالية من الشعور الأنساني كما ان قريبي حدثني عنك كثيرا وفكرت انه من المؤسف ان تضيع مثل كفاءتك الطبية والعلمية هباء ولهذا فاني مع معرفتي بحجم المسؤولية التي اتحملها ، أعرض عليك ان انقلك الى الجانب الآخر ، وهناك يمكن ان تتدبر نفسك!

كان العرض مفاجئا ومغريا ولكني استغربت ان يقدمه بهذه البساطة

قلت: لايسعني الا أن اشكرك ، ماافكر به ربما يختلف ، فمن المفروض اني طبيب وان مما يضاعف مسؤوليتي احتمال ارتفاع حالات ألإصابة هنا وبالمناسبة انا انظر الى الموجودين في نطاق الحصار على انهم عراقيون بغض النظر عما اذا كانوا معكم ام لا من الناحية الثانية وعلى الرغم من عدم اهتمامي بالسياسة فاني اختلف مع استنتاجاتك ، لن يتم الأجتياح وسيجري التفاوض على الأستسلام بهدف الحفاظ على الحد الأدنى من فعالية تنظيمات المجاهدين و أعتقد ان هذا هو جوهر ما تسعى اليه الدبلوماسية البريطانية التي استطاعت ان تقنع الأمريكيين به

ولكن لماذا؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من التحليلات التي سمعتها فان من المصلحة تحقيق شيء من التوازن في جهة اندفاع الجبهة العراقية بعد الاستيلاء على الحكم والتأكد في نهاية المطاف انه يمكن خلق مشاكل جدية امام الحكام الجدد مع التلخص من التوجه السلفي.

ماتقوله بالغ الخطورة

شجعني ماعرضته علي!

اذا انت تفضل البقاء؟!

نعم ولكن مايشغلني هو تعذر الأتصال بزوجتي فأنا متلهف لأطمأنها على وضعي على الأقل

يمكنك ذلك!

بدأت نظراته اكثر حيوية

قالت زوجة جاري: لن نهرب من القدر ، الله يعطي الناس على قدر نيتهم

شعرت باحباط وخشيت ان يأخذنا الحديث الى مناطق بعيدة وافقد ألأمل الذي لاح لي كلون البنفسج في غبش الفجر يمكن ان يهتدي به التائه في الصحراء

قلت: ونعم بالله

التفتّ الى الضيف

كيف يمكنني ذلك؟

ربما بدت اللهفة على وجهي او قد يكون صوتي الذي حمل الجملة ألأخيرة وانا اتوجه نحو الضيف قد حمل شحنة من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الهاتف النقال يعمل بتوسط القمر الصناعي

اخرج الهاتف من حزامه الجلدي

يمكنك ان تكلم زوجتك.

كانت ايمي في البيت ، وكان حكمت على الكومبيوتر يتابع لعبة الكترونية ، قالت ايمي ، ربما يكون العمل اليومي المرهق الذي اغرق نفسي به نهارا وانشغالي بحكمت مساء ، هما السبب في اني لم اصب بالجنون حتى اليوم ، تحدثت طويلا عن حكمت وحماقاته الطفولية ومدرسته واصدقاءه ، أدرك انها لاترغب بالحديث عن نفسها ، قالت انها تشتاقه وانها ستظل تنتظر ، وأخيرا قالت: أعتقد ان أملا يتقدم نحو بغداد! فقط حافظ على نفسك فالمسألة في جوهرها الآن هي مسألة وقت!

كانت بعض التحليلات في ألأذاعة البريطانية تشير الى ذلك ، بعض المتخصصين في شؤون الشرق الأوسط كانوا يلمحون الى أن المفاوضات قطعت شوطا بعيدا وان هناك املا بأن يجري انسحاب المجاهدين وتسليم بغداد للجبهة العراقية وعلى ان يتزامن ذلك مع اعلان عفو عام واعتبار حركة المجاهدين شريكا في العملية السياسية ، تعود اللعبة الى نقطة البداية وتذهب التضحيات الى مستودع التاريخ ، وتناقض المصالح اقوى من طائر الأمل الذي يحاول ان يعبر النهرين ومن ثم يتجه جنوبا الى الخليج.

قال الضيف: أرجو ان تكون قد ارتحت بعض الشيء؟!

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قالت زوجة جاري: ليس غير العائلة مايخلق الطمأنينة!

كان وجهها ينضح طيبه صافية ، بشرتها بيضاء بلون الحليب وعيناها بلون البندق الناضج ، كان شعرها مايزال يحتفظ بحيويته ، ترتسم على فمها ابتسامة ودودة كأنها تقول يمكنك ان تطمئن فأنت بين اصدقاء حقيقيين ، على الرغم من اني رأيتها مرات عديدة وتحدثت معها ، وقمت بفحصها كطبيب بدقة ، الا أني كنت أتعامل معها كمريضة ولكني الآن أراها كجارة وكأنسانة ، تبدو رقيقة وتحمل صفاءا نادرا كملاك حط ّفي المكان الخطأ ،أعني في هذا الجو المفعم برائحة الخراب والدم وفي هذه الأيام التي تشهد نهاية العالم ، أما جاري فقد كان انسانا من لحم ودم ، انسان حقيقي بكل مايحمله من تناقضات البيئة العراقية ، أما الضيف فقد كان لرغم منعلى ا ميله للثرثرة ، كحلم يحمل تدافعا من الصور والمشاهد السريعه وعادة مثل هذه الأحلام لانتذكرها صباحا على الرغم مما قد تحمله لنا من بهجة تظل في اعماق سرائرنا ونحن نصحوا ، لم احدث أيمي باكتشافي هذا وان كنت اعلم انها ستكون مسرورة لأني وجدت صحبة نادرة.

قال الضيف وهو يشد على يدي ليخرج: دكتور ، قد لانلتقي بمن يعرف ، ولكن لابد لي من القول انك قد استطعت ان تهز قناعاتي حتى وانت لم تتحدث في السياسة او في منطلقات نظرية ، لقد قدمت لي نموذجا عمليا عن سلوك ألآخر الذي امتلأت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قناعاتنا بانه فائض عن الحاجة وانه لابد من استئصاله لتصلح الحياة ، يجب ان اعترف باني تعرضت قبل ايام الى هزة اخرى ، كان الرجل الذي علي أن اجهز عليه من جنود الجبهة العراقية ، نظر في عيني مباشرة وقال ، صدقني أنا اشفق عليك ، انت رجل اعطبوك من الداخل وكل ماأتمناه ان تلحق نفسك قبل فوات الأوان ، لم يكن في نظراته وهو يموت اي حقد ، في الليل لم استطع النوم ، كنت اتمنى لو انه بكى أو شتمني ، لم يكن يستعرض قوته امام الموت ، كان يشفق علي ، لقد عذبني ذلك وأنت اليوم تكمل موجة الأضطراب التي تتملكني

وداعا

عيناه كانتا غائمتان وفي الخارج ونحن نودعه سقطت بضع قطرات من المطر وكأنها تختبر الأرض التي يلفها غبار ناعم وظلمة ، كان طعمها مالحا ولونها عكرا ورائحتها مزيج من رائحة التراب المرشوش بالماء و الدخان المنبعث من رماد العشب المحترق

دخلت البيت ، كان الطيران على طاولة المطبخ ، نظرا نحوي بشوق ومدا رقبتيهما فيما فرحة تطل من عيونهما ، خلفهما كان طير صغيرا يصدر صوتا حنونا ويحاول ان يتقدم.

بدأ المطر يحدث ضوضاء صاخبة وهو يضرب اوراق الأشجار ويرتطم بأسطح المنازل ، السماء تغسل ادران الأرض ، كان لجّا يغرق الكون ولكن الأرض العطشى والغارقة بتلافيف المأساة كانت تشرب الماء وكأنها في شك بأنها سترتوي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قفـز الطـير الـصغير الى كتفـي فـشعرت بـدفئ يتـسلل الى مشاعري ، وضعته على الطاولة ثم جئته باناء الماء وببعض المتبقي من طعام ، قفز ألأبوان وهما يرفان باجنحتهما ببهجة ، دارا حول الصغير اولا ثم بدءا بتناول الطعام ، تركت الطيور لأخلد للنوم فغدا لابد من الذهاب الى المستشفى....

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

Filename:	حديث في الممكن...رواية
Directory:	C:\Users\user\Desktop
Template:	C:\Users\user\AppData\Roaming\Microsoft\Templates\Normal.dot
Title:	الرجل الذي اعتزل
Subject:	
Author:	thor
Keywords:	
Comments:	
Creation Date:	١٠:٢٢:٠٠ ٢٠١٤/٠٧/١٤ م
Change Number:	63
Last Saved On:	٠٥:٥٧:٠٠ ٢٠١٤/٠٨/٠٦ م
Last Saved By:	user
Total Editing Time:	634 Minutes
Last Printed On:	٠٥:٥٧:٠٠ ٢٠١٤/٠٨/٠٦ م

As of Last Complete Printing

Number of Pages:	159
Number of Words:	20,397 (approx.)
Number of Characters:	116,269 (approx.)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com